

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

- ١ -

مذاهب النقد الأدبي - للدكتورة سهر القلعاوي - دكتور رشاد رشدي - دكتور محمد مندور (ولقيف من أساتذة الجامعات) سلسلة كتب ثقافية - القاهرة ، د.ت . ٥٥ ص.ص .

١ - في مقال للدكتور رشدي ص ١٣ : « فكلما ازداد إبداع الكاتب كلما ازدادت قدرته على أن يفصل عقله الخالق عن تجاربه الشخصية .. »

صار معلوماً أن « كلما » الثانية زائدة وليست من اساليب العربية ..

٢ - في مقال للدكتورة القلعاوي ص ٢٥ : « وكان ذلك كله في العشر سنوات الأخيرة .. »
الصحيح : في عشر السنوات .

ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ يرد « مالايمين » على هذه الصورة ، وهي خطأ ، لأنه Mallarmé

٣ - في مقال الدكتور محمد الفقيهي هلال من الرومانتيكية ص ١٦ - ١٧ : « وكانت السيدة » نكر « تحب أن يطلق على الأدب الرومانتيكي » الأدب الاجتماعي » .

لم نذكر نكر ، وهي مشهورة جداً في عالم الأدب عموماً وفي صلتها بنشأة الرومانتيكية خصوصاً باستعمال

« مدام دي ستال » كما سيذكرها الكاتب نفسه ص ١٨ ، وهو إذ يتحدث عن امرأة واحدة أجنبية باسمين مختلفين

شكلاً يلتبس الأمر كثيراً على القارئ العربي فيحسب السيدة « نكر » امرأة ويحسب « مدام دي ستال » التي

تأثرت ... بالالمان « امرأة أخرى - وليس الأمر كذلك . هذا إلى أن تسميتها بالسيدة نكر غير صحيح ، انتهى

السيدة دستال وليست السيدة « نكر » لأن الفرنسيين لا يسمون - كما هو معروف - النساء المتزوجات بالسي

آبائهن - « نكر » - كما هو معروف أيضاً - أبوها . وقال ص ١٧ « الكلمة الفرنسية » Romanticisme

الصحيح أنها Romantisme

٤ - في مقالة الدكتور رشدي ص ٦ : « ... فالنقد في نظر أصحاب المدرسة العاطفية عمل ابتكاري كالخلق

تماماً لا يستطيع الناقد أن يصل ويجول كيفما يشاء وأن يطلق خياله العنان حتى ليبعد مسافات شاسعة عن

الأدب نفسه - كما يعطي لنفسه الحق في أن يصيغ أحكامه بالزور الذي يلائمه . »

١ - المناسب أن تكون « لا » التي سبقت « يستطيع »

زائدة .

ب - كأنه يقصد « بالمدرسة العاطفية » المدرسة الانطباعية (التأثرية) .

٥ - في مقال الدكتور رشدي ص ٦ - ٧ : « في أواسط القرن (التاسع عشر) تقريباً نشأت فكرة أن الأدب

تعبير عن البيئة أو المجتمع .. »
لو قال : شاعت أو وضعت موضوع التنفيذ « العلمي »

كان أدق ، وإلا فإن الفكرة نشأت قبل ذلك ، ولو قلت أوائل القرن لم تبعد عن الصواب ، ومعلوم أمر إقامة مدام

دستال في ألمانيا وتأثرها بهذه الفكرة هناك وعودتها إلى فرنسا ونشرها هذه الفكرة وتأليفها فيها .

٦ - أقام الدكتور رشاد رشدي مقاله « مدارس النقد الأدبي » ص ٣ - ٩ على الحركة الرومانتيكية فقال :

« لقد خلف لنا القرن الماضي مدارس عديدة للنقد ... والمصدر الذي نشأت منه هذه المدارس هو الحركة الرومانتيكية ... »

وأخاله مبالغا في ذلك ، وأنه اضطر بفعل التعميم إلى إيجاد ما يمكن أن نسميه بالرومانسية العلمية في

الأدب » و « المفهوم العلمي الرومانسي للأدب » . وإذا كان صميم الرومانسية لديه « فكرة أن الأدب تعبير عن الفرد »

ونشأت من ذلك مدرستان تقديتان هما المدرسة السيكولوجية والمدرسة العاطفية - والأمر مقبول لسدى

وبطعمها بصميم الرومانتيكية ، ولكنه سيضطر إلى التكلف حين يقف أمام ما كان « في القرن الماضي » من « مدارس

النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية » وسيجعل ربط هذه المدارس بالرومانتيكية يتخلص صيف ويسقط :

« ولقد ظلت فكرة أن الأدب تعبير عن شيء أو آخر سائدة طوال القرن الماضي إلا أنها أخذت أشكالاً مختلفة

وتحددت تبعاً لهذه الأشكال مدارس النقد الأدبي ومنهاجه - ففي أواسط القرن تقريباً نشأت فكرة أن الأدب تعبير

عن البيئة أو المجتمع ومن هذا قامت مدارس النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية .. »

وأصحاب هذه المدارس من النقاد يفسرون العمل الأدبي في ضوء الظروف الطبيعية أو الاجتماعية أو

التاريخية أو الاقتصادية التي تنشأ فيها لأنه في نظرهم ليس إلا إنتاجاً لهذه الظروف .. الخ »

والتكلف في ربط هذه « المدارس » بالحركة الرومانتيكية واضح ، وكان الربط لديه فكرة أن الأدب

تعبير عن شيء ، وليس هذا رابطاً علمياً لأن التعبير عن الذات غير التعبير بفعل الطبيعة أو المجتمع أو العامل

الاقتصادي .. ثم أن أصحاب هذه المدارس أنفسهم لم يربطوا أنفسهم

بالحركة الرومانتيكية ولم يريدوا لأنفسهم أن يربطوا بها ، بل أنهم كثيراً ما كانوا ردود فعل لايقالها بالذات ،

فسخروا منها وقاوموها ولا أدري كيف يسوغ لسان أن

نسمى « المادية الجديدة » مثلا رومانتيكية ، حتى لو
لصقنا بالرومانتيكية ، صفة العلمية ..

نعم ، هناك بين هذه المدارس والمدرستين اللتين
نشأتا عن الحركة الرومانتيكية (أي السيكولوجية
والمعاطفية) رابطة هي اهتمام الناقد بأشياء خارج العمل
الأدبي ، قد نبأ عن نقول أنها لا تمت إلى العمل الأدبي
بشيء ، وإنما « تعطل فهنا للعمل الأدبي وتشغلنا عنه » ومن
لم فهي نقبض ما دعا إليه (ص ٩) بند توكروثسي
و ت. اس. ايلوت ..

هذه صفة جامعة ... ولكنها لا تجعلها مدارس
للمفهوم الرومانسي فالتعبير عن الذات شيء والتعبير
بالمعامل الاقتصادي شيء آخر ... والربط متكلف ، ويبدو
التكلف على أشده في صفحة ثالثة (ص ١٢) فقد اوضح
فيها ان هناك امرين : « الرومانتيكية » و « الوعي العلمي
الجديد » .

كان مناسباً ان يذكر لنا الدكتور رشدي مصدره لدى
ذكر مصطلح غريب علينا كالرومانتيكية العلمية .
٧ - ص ١٤ : « في كلا الحالتين » : فسي كلنا
الحالتين .

٨ - ص ١٤ : « وقد نشأ عن الرومانسية العلمية
تقسيم العمل الأدبي تقسيماً غير طبيعي أي شكل وموضوع
.. ولكن الكلاسيكية الجديدة تنكر وجود الموضوع ...
كما ... تنكر وجود الأسلوب .. ككل ما في العمل الأدبي
من الفاظ وصور ورموز ومدلولات وجبري ومخيبي وغير
ذلك من عناصر ليست لها وظائف مستقلة بعضها عن البعض
وهي ليست أيضاً غايات تطلب لذاتها .. لأنها تحتلوا
جميعاً في خلق الأثر أو المعنى الكلي لهذه الوحدة المتكاملة
الفريدة في نوعها وهي ما نسميها بالعمل الأدبي » .

١ - بعد ان قال الدكتور رشدي في بداية الفقرة :
شكل ومضمون ، حسن - بل وجب - ان يحتفظ
بالمصطلحين لدى نفي الكلاسيكية الجديدة لوجود هذين
المصطلحين . ولكنه لم يفعل ذلك فقد احتفظ بالموضوع
ولكنه استعمل « الأسلوب » بدل الشكل . ويؤدي هذا
إلى لبس ، لأن الأسلوب في المفهوم الحديث لم يعد
الشكل ، ولم يعد « الألفاظ والصور والرموز ...
والموسيقى » بل انه لم يعد هذه الأشياء « مستقلة عن
بعضها ... » ان الأسلوب - بالمعنى الحديث الذي أتى إليه
أقرب مرادف لما ذهب إليه الكلاسيكية الجديدة من تعاون
الموضوع ومناصر الشكل « في خلق الأثر أو المعنى الكلي
لهذه الوحدة المتكاملة الفريدة في نوعها وهي ما نسميها
بالعمل الأدبي » .

الخلاصة ان « الأسلوب » لم يعد ، فسي النقد
الأدبي المعاصر - مرادفاً « صافياً » للشكل ، واتنا اذا قلنا
في بداية كلام : « شكل وموضوع » ، علينا ان نستمر في
القول لدى تكراره ولا نحل كلمة « أسلوب » محل « شكل »

دفعاً ليس ووعياً لتطور المصطلحات .

٧ - تقول الدكتورة سهير القلماوي ص ٢٦ :
« ... ومذهب البرناسيين كان رد فعل لتقدم العلوم
وخاصة العلوم المتعلقة بالطلب البشري ... »

المعلوم ان مذهب البرناسيين ، كان في أسباب
قيامه تقدم العلوم ، ولم يكن رد فعل لهذا التقدم ، وعلى
هذا تكون العبارة هكذا : « ... ومذهب البرناسيين كان
بفعل تقدم العلوم ... » اذا كان لا بد من الاحتفاظ بكلمة
« فعل » ، لأن « رد فعل » تعني - كما هو معروف -
الضد ، أي ان مذهب البرناسيين نشأ مضاداً لتقدم العلوم ،
ولم يكن الأمر كذلك ويتفق المذهب - مذهب البرناسيين -
والعلوم بالموضوعة ..

اللاحظة هنا على استعمال « رد فعل » -
ولو قلنا ان « مذهب البرناسيين » رد فعل
للمرومانتيكية كان القول صواباً ، ولو قلنا ان « الرمية »
رد فعل للعلوم لكان القول صواباً كذلك ..
هذا ويحسن - ويجب - ان ترد « البرناسيين » على
البارناسيين لأنها نسبة إلى Parnasse

٨ - يقول الدكتور محمد منصور ص ٣٤ - ٣٥ :
« أما الواقعية الغربية فقد ظهرت منذ أوائل القرن الماضي
وسارت جنباً إلى جنب مع المذهب الرومانتيكي ، فينشأ
كان ادياء الرومانتيكية في فرنسا خلال ذلك القرن يخرجون
التواوين والقصص والمسرحة ... نحو ما نشاهد
عند هيجو وموبسان ولامرتين في فرنسا مثلاً سري الواقعيين
من أمثال بلزاك وموبسان ثم زولا ينقبون عن مواقع الحياة
في تقويم البشور كافة وينظرون إلى هذا الواقع نظيرة
يزعمون انها تكشف من حقيقته ، فعندهم ان الانسان
شريع بطبيعته ... »

١ - ليس صحيحاً ان الواقعية الغربية ظهرت منذ
أوائل القرن الماضي وسارت جنباً إلى جنب مع المذهب
الرومانتيكي ، فإذا كانت الرومانتيكية قد بدت مقدمتها
منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقويت في أوائل التاسع
عشر وتقررت مدرسة سنة ١٨٢٠ بصدر ديوان لامرتين
(المولود سنة ١٧٩٨) ، فإن « الواقعية » لم تكن - ونحن
نتحدث عن المدرسة أو المذهب - قد وجدت ، لأنها ولدت
في أواسط القرن التاسع عشر ، ولم يكن بلزاك (المولود
سنة ١٧٩٩) مثلها أو أحد أعمدتها لدى « تأسيسها » .
يدرس بلزاك - ويدرج - في باب الرومانتيكية وقد أحترمه
الواقعيون كثيراً وأعلن مشرعهم شاتلبري مكانه ولكن هذا
شيء وعده من المدرسة الواقعية شيء آخر .

ب - ولد زولا سنة ١٨٤٠ ، وموبسان سنة ١٨٥٠
فأين هما في أوائل القرن التاسع عشر .

- ٢ -

- موسيقى الشعر - تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ،
الطبعة الرابعة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢

(كانت الطبعة الأولى حوالي سنة ١٩٥٠ هـ)

١ - ص ٨ : « ان هذا القدر نظري غريزي ولد معنا » ص ١١ : « ان هناك ميلا غريزيا .. »

٢ - ص ٢٢ : « عني القعدة ... فيما يمكن ان يتكون من كلمات لو استعملت حروف الهجاء الثمانية والعشرين كلها بنسبة واحدة » .
الصحيح : الثمانية والعشرون .

٣ - ص ١٩٤ : بعد قوله ص ١٩٣ - ١٩٤ « وقع الاختيار ... على ديوان زهير ... اما الفرزدق فقصي ديوانه » . « بل حتى ابني المتناهية ... لم ينظم الا من يحور نظم منها من سبقوه من الشعراء » .
الصحيح : حتى ابو المتناهية .

قد يكون الصحيح في « نظم منها » : نظم عليها او نظم فيها ، فالشاعر ينظم على البحر ، والشعر يكون من البحر .

افضل من : « من سبقوه » : من سبقه .

٤ - ص ٢٢٠ : « اما نشأة الموشحات ، فقد اضطربت فيها الروايات بعض الاضطراب ... على ان من مؤرخي الادب من يزعمون ان اول من نظم الموشحات هو ابن المعتز الذي توفي في اواخر القرن الثالث الهجري ، ويروون له موشحا مطلعه :

يها السافي اليك الشكى قد دونك وان لم تسمع
لم يذكر لنا الدكتور انيس مرجعه ولم يسم لنا مؤرخي الادب هؤلاء ... وان كنا نعرف منهم احمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الادب العربي » الذي طبع مرارا ... وكنا نظن ان هذه مسألة انتهت لا يرجع اليها راجع ، فقد بت فيها وثبت بطلانها بما لا يقبل شكاً ولا يستلزم لباحث ان يعود اليها او ان يجهل ما وصل العلم بشانها .
ان الموشحة المذكورة : « ايها السافي » من نظم الاندلسي ابن زهر .

وعاد الدكتور انيس الى هذه الموشحة ص ٣٠٩ على وجه حسينا معه انه تنبه الى الشك في النسبة الى ابن المعتز حين قال : « الموشح الذي ينسب الى ابن المعتز ... ولكنه يبعد هذا الحسبان ص ٢٤٣ قوله ... يكون ما يؤكده بعض الدارسين من ان الموشحات بدأت ايضا بالشرق على يدي ابن المعتز غير بعيد الاحتمال » .

كانت « هفوة » نسبت « ايها السافي » الى ابن المعتز ثم فرغ الدارسون بعد ذلك من انها ليست له ، وانما هي لمحمد عبد الملك بن زهر .

٥ - ص ٣٠١ : « المزدوج .. ولاي المتناهية مزدوجة ... وقد نظم منه ايان بن عبد الحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة » كما نظم الحريري ملحمة في قواعد الاعراب .. لا تطلق لفظة « ملحمة » على مزدوجة تنظم « قواعد الاعراب » ... فهي مصطلح له حدوده واركانه عند اهله ، ونحسب ان الدكتور انيس لا يسمح بهذا الاطلاق

ان مزدوجة الحريري : منظومة ، وهي من الشعر التعليمي كما هو شأنها في مصطلح الشعر التعليمي .

٦ - يتحدث الدكتور انيس عن شعر المحدثين بصدد البحر والقافية ، فيما يكثر ويقل منها فيقول مثلا ص ٣١٠ : « والذي يلاحظ بوجه عام ان شعراءنا المحدثين ، لم يحاولوا التنوع في القافية الا في النادر من الاحيان ... » ولكن الشعراء المحدثين هؤلاء وحيث ورد الكلام عليهم لا يعمون لديه الا شعراء مصر : شوقي ، حافظ ، البارودي ، الجارم ، العقاد ، عزيز اباضه ، رامي ، علي محمود طه ، علي الجندي ، محمود غنيم ، محمود اسماعيل .

ليكن - اذا - القاري على علم ، وله بعد ذلك ان يسأل : اما كان بإمكان الاساذ المؤلف - وقد طبع كتابه اربع طبعات - ان يخرج قليلا من حدود « الكنانة » فيختار شعراء آخرين من افكار العربية ... ليكون الحكم اصدق وادق واتفع ، ولعله يجد فرقا يمكن ان ينتفع به مؤلف يؤلف في « موسيقى الشعر » فيجد البحر او القافية شائنا يختلف او يتفق - مع شأنهما في مصر - الخ .

انه لم يخرج من الدائرة الضيقة الا في حالة واحدة ، هي حالة شعراء المهجر جميعا له كتاب « بلغة العرب في القرن العشرين » الطبع في مصر . اما كان يمكننا ان ننظر في عدد من دواوين هؤلاء الشعراء ليكون الحكم اول والامانة متنوعة ... ؟

٧ - ص ٣٠٢ - ٣٠٥ : « المربع هو ذلك الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته الى اقسام يتضمن كل قسم منها اربعة اشطر ، ويراعي الشاعر في هذه الاشطر الاربعة نظما للقافية ... والذي شاع ... ان قافية الشطر الرابع تتكرر هي بعينها مع كل قسم من اقسام المربعات ، مثل قول شوقي تحت عنوان « البغور كاتك تره » :

على اي الجنان بنا مصر وفي اي الحدائق تستقر
دويما ايها الفلك الابصر بلفت بنا الربوع فانت هر
سهرت وقسم تتم لركب عين كان لهم بسوهم فجور واين
يحت خلفك لج بل لجعين بل الابرص بل الف الف
فتحن نرى في مثل هذا النظم ان قافية الشطر الرابع تتكرر حتى نهاية القصيدة ، فليست الاقسام هنا مستقلة تمام الاستقلال ، ولكنها تشترك في امر واحد هو تكرور قافية الشطر الرابع .

وقد اغرم العباسيون بهذا النوع من التريعات واكثروا من نظمه ، وهو بحق يعد الحجر الاول نسي بناء الموشحات التي ازدهرت فيما بعد .

١ - قولنا : « وقد اغرم العباسيون .. واكثروا .. » يدل - فعلا - على غزارة ما نظم من هذا « القصيد المربع » ... فاني هي الغزارة منه في مجموع شعر العباسيين ابل في جزء منه ؟ اين امثله ؟
اشك في صحة القول وفي امكان الاجابة عن الاسئلة

وإذا وجد قلم لم يذكر لنا المؤلف الغاضل مثلاً واحداً أو أن يشير إلى مكانه من الدواوين والمصادر .

ب - قولنا : « وهو بحق يعد الحجر الأول في بناء الموشحات ... » يستدعي امرئسن : الأول وجسوده (وغزارة) ، الثاني أن يكون الوجود (والغزارة) قبل القرن الثالث للهجرة أو في نصفه الأول ، لأن المؤلف أشار - في وضوح - (ص ٢٢٠ - ٢٢١) إلى نشأة الموشح في هذا القرن - والأمراة ملازمان ، ويبقى الشك - الذي يشبه اليقين - قائماً .

٨ - ص ٣١٩ : قال ثعلبة بن عمرو :

السماء لم تستل من ايديك والقوم قد كان فيهم خطوب ..
١ - الانسب - ان لم يكن الاصح - في كتابة «تسلى» تسالى . وإذا كان المؤلف قد تابع المفصليات - بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - فسي المفصلية ٦١ ، فقد وضع المحققان هناك فتحة على الهمة تحديراً من كسرها .

ب - فتح المؤلف - أو الطابع - الياء من « ايك » وهو غير صحيح ، وإنما الصحيح السكون .

٩ - « موسيقى الشعر » : كتاب في « العروض والقافية » يمكن أن نضيف إلى مراجع البحث كتاب الدكتور محمد مهدي البصير « الموشح في الأندلس وفسي المشرق » بغداد ١٩٤٨ - لأنه رآه في يدي أي فسي دراسة الموشح في المشرق والنظر فيما نظم المحققون ... ووقف المؤلف (ص ٣٥٦) لدى (١٥٠) كتاباً حسن « كتب العروض » وكأنه يريد الاستقصاء ، وإذا كان قد ذكر كتاباً حديثاً مثل كتاب محمود مصطفى فلم حجب كتاب الهامشي (ميزان الذهب) ؟

وهناك كتب أخرى في أقطار أخرى .. اذكر منها في العراق كتاب الرصافي « الادب الرفيع » .

ثم هناك كتب قديمة حققت ونشرت بعد طبعته - أو طبعاته - الأولى : منها : « كتاب القوافي » تأليف أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاقنطلي المتوفي سنة ٢١٥ هـ بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٧٠ ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي .

و « كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة لأبي عبد الله محمد بن جعفر الفزار القبرواني تحقيق وتقديم النجسي الكعبي ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ .

وتنظر مجلة معهد المخطوطات ..

ويذكر الدكتور عزة حسن في مصادره : كتاب القوافي للقاضي أبي يعلى عبد الباقي التنوخي ط . على آلة التكثير سنة ١٩٦٥ ، وكتاب « الكافي في علم القوافي » لأبي بكر محمد الشنتريني - مع كتاب المعيار في أوزان الاشعار ١٩٦٨ .

ونذكر للطبعة القابلة « كتاب العروض تأليف أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، بيروت ١٩٧٢ .

النموذج في البحث الادبي تأليف عمر أنيس الطباع ، الكتاب الأول ، بيروت (٩) ، دار النشر للجامعيين ١٩٥٨ .

١ - ص ١٤٥ : « لئن كان الشعر العربي ، على وجه العموم ، شعراً رومانياتياً ، إذا اعتبرنا الرومانياتية نزعة وجدانية يطوي فيها الشاعر على ذاته ، فإن ابن الرومي بصورة خاصة ، أشد صلة بعالم الرومانياتيين من شعراء فرنسا - ابتداء من « روسو » و « سانت بييف » ، و « شاتوبريان » إلى « لامرتين » و « فيكتور هيجو » - لا يمثل في نفسه شعره من خصائص اعلام هذه المدرسة وكلام آخر .

١ - لا أرانا مصيبين ، ونحن تقدم « النموذج فسي البحث » لطلابنا ، بزج الشاعر العربي في معمار مدارس الادبي الغربي فضلاً عن أن نجعل ابن الرومي أشد صلة بالامرتين ... وربما أفاد فعل التفصيل التفصيل .

ثم إن النزعة الوجدانية ليست كل شيء فسي الرومانياتية ... وإذا لم يكن في الشعر العربي القديم رومانياتية فقد كانت نزعة وجدانية ، فهو في عموم شعر وجداني (غنائي) .

ب - إذا كنا نعلم جيداً تطور المدرسة الرومانياتية في فرنسا قدمنا شاتوبريان على سنت بييف . ثم لم هذا الاختيار الذي وقع على سنت بييف وهو ادب يقوم مجده على التقبيل الادبي ، وليس لشعره وقصته الاهمية التي تحله حيث أحله المؤلف ؟

٢ - ص ٢٤٩ : « كان نظمهم (أي نظم سليمان البستاني) أعظم دافع للشعراء العرب المحدثين ، على التجديد في طرائق الشعر والجرأة على تحدي الأساليب القديمة ، والبحور الكلاسيكية ... »

لم يقل هذا أحد ، لأنه ليس صحيحاً ... لقد عمل سليمان البستاني بترجمته الايلاذة ومقدمته الضافية لها شيئاً جديراً بالاهتمام والذكر .. اما أن يكون « أعظم دافع ... » فلا .

الذي يؤلف في « النموذج في البحث » مطالب أكثر من غيره في الثاني لدى الحكم ، والهدوء لدى الإعجاب .

ملاحظات :

١ - ورد في « تعليقات » فبراير ص ٧ :
تلقون هذا العصر عصر هداية واجد ان ندعو عصر هلاكات وصحيحة :

تلقون هذا العصر عصر هداية واجد ان ندعو عصر هلاكات
٢ - ص ٨ « واشتهر بين النقاد والشعراء حماد وخلف ... » وصحيحة : واشتهر بين النقاد الشعراء ..

علي جواد الطاهر

بغداد - كلية الاداب

الموت العاشق

مثل اهل الفرام كل جميل
صبوات الردى بكل سبيل
بالذي تامه لمعى ويسل
اسرع الناس دائما للرحيل
فهو امر يحتاج للتعليل
خير ازهاره وشيك الذبول
ان ابهى النجوم رهن الافول
من مآسى الجمال الف دليل

ما لها في شبابها من مثيل
فهي مرآة فنها المصقول
رد يرق الشدا بخد اسيل
نفيها القاه بالتقييل
سحرا في فرعها المسدول
تتهادى مع التسيم البليل
مستجيرا منه بظل ظليل
في هتاف من لفظها المسول
اي وفالت باي عقل اصيل
الذين يوقى يفضي الى الجويل
السين الزائرات مثل الطويل
دون صيق بلقيوه الملول
فتولييه كل صفح نيل
ها على السر والكفاف القليل
ى دقيقا يغيب خلف السدول
خطفة الضوء في الحسام الصقيل
طف اذا حدثت لمضى جليل
بنير شاد ، ولطف قليل
غير اني اضيق بالتمثيل
في فؤادي تنثال مثل النصول
مستفيضا من هم ليل طويل
ها فانهاز تحت عبء نقيل
من سناها يبدو بكل سبيل
من هوانا في ماتم وعويل
د) تعنيه صبوة التبول

صبح عندي ان النية تهوى
قد تبعث خطوبها فتراوى
واشتهاء الردى مبيد يؤدي
قد شهدنا اهل الجمال لدينا
واذا لم يكن هو الموت فيهم
اترك الناس واشهد الروض تبصر
اترك الروض واشهد الافق تدرك
ينكر العقل ما اقول وعندي

كان لي غادة سلام عليها
كسبت رونق الطبيعة غصبا
صورة الورد عندها اذ ارى الو
صورة الفل عندها اذ ارى الثغر
صورة الليل عندها اذ يوج الليل
ولعل الحديث منها غصون
اشتهاء في الهجير وخيا
يبدع الطير شدوه فتراه
لخصت بهجة الطبيعة في الر
في التباس القنون اذ يغطف
في صمات الافاضات حين تدوي
في احتمال الثربار مهما تهادى
في تسامي الاخلاق اذ تلمس الذنب
في غنى النفس حين تحمد مولا
في ابتسام الذكاء اذ تلمع المفز
ولصمت التفكير في مقلتها
تشهد الموج بين اهدابها الو
فاذا ادركته راحت تجليه
اذكر الان كل لقط حكته
ذكرات نفسي التي حسرات
ان تشاغلتي بالمدروس صباحا
ابدا المدرس ثم تعرض ذكرا
هل سبيل الى السلو وطيف
ظفر الموت بالنسي وغدونا
صدق القول (انما الموت نقا

محمد رجب البيومي

الرياض - كلية اللغة العربية

السمع لئلا ما يعوله السيد شحاته ، ولما ما يعوله ممتع
ملك يسير الفهم ، هانت بفضله كل مصابه . وهذا الرجل
العظيم - أطال الله عمره - هو أول من حببني في اللغة
العربية ، بينما كان أسلافه جميعا لا يتوخون إلا تفضيضا
في اللغة العربية .

وكان من زملائي في الصف سليمان زكي مبارك ، وهو
شاب فيه بساطة الريف وفيه انطواء على الذات .
وإذا كنا ننتهي ذات صباح لدخول حصّة اللغة العربية ،
وبنا إليها شوق ونمائه وتعهده استاذنا السيد شحاته ، رأينا
الاستاذ يقبل علينا وفي صحبته ضيف غريب أجعد الشعر
جفاه التشذيب والتهديب ، على عينيه غلاظ من العيونات ،
وتهامسا من يكون هذا الضيف ، فأسعفنا سليمان
بالجواب : هذا أبي ، وهو مفتش اللغة العربية بوزارة
المعارف .

وانتظمتنا كل في مكانه ، واستولى علينا رعب قاتل ،
فهذه هي المرة الأولى التي يجيئنا مفتش - أو موجه بلغة
هذه الأيام - من طراز زكي مبارك . ولما لبثت حتى
يورثنا التلعثم والعلم بفضل علمه البحر وعلمنا القاصر ،
ولكن « رطب الجو » امرأ ، أولمّا أن استاذنا السيد
شحاته أحسن تقديم المفتش إلى الطلاب ، مشيدا بمنزلته
المرموقة في دنيا الأدب ، مؤكدا أن زيارته لنا تشرّف هو
نفسه أول التامعين به ، وقال لنا جميعا طلاب على زكي
مبارك ، ثم دعاه إلى أن يريتنا من علمه وبحاضرنا في الأدب
الذي هو من أعلامه الكبار . فأخذ زكي مبارك يحدثنا في
الأدب حديثا مشتميا ، أنساه أنه مفتش وأن واجبه أن
يتعشّن قولنا : « وأما الأمر الثاني الذي هذا من روعنا ،
فهو وجود ابن زكي مبارك بيننا ، ولا أقل من أن يكون
الأب مترفقا بزملاء ابنه العزيز سليمان .

وقبل أن ينفض السامر ويغادرنا زكي مبارك ، رفع
ابنه اسمه طالبا الكلام . فتوجهت كل الأنظار إلى سليمان
... ولما أذن له أبوه بالكلام ، تحدث لا بالعربية ، بل
بالفرنسية قائلا : « Je parle français comme les françaises »
أي أنني أجيد الفرنسية كالفرنسيات ! فضحك الدكتور
زكي مبارك ، وبه ابنه إلى أن اللغة الفرنسية فيها تائيست
وتذكير على غرار اللغة العربية وعلى نقض اللغة الإنكليزية .
والهم أن الهمع الذي استولى علينا من زيارة « جنرال »
الأدب « زكي مبارك قد زالنا ، ربما لأن زكي مبارك وجدنا
أرق من أن نرضى علينا حربا من حروب بسوسه !

وفي العام التالي انتقلت في نفس الجامعة السّـي
دراساتها الجامعة ، وكان يدرسنا اللغة العربية رجلا
عظيم آخر هو السّـيامي بيومي ، وهو من أساتذة الأدب
المتكئين في كلية دار العلوم ، وكان - على طريقته القديمة
في التدريس - محاضرا يتكلم ساعات طوالا دون أن يمل
ودون أن يلقى الملل في نفوس سامعيه . وقد سرني نفسي
ما بعد أن رأيت صديقنا الراحل الدكتور محمد مندور



وديع فلسطين

مدينت مستطرد عن زكي مبارك

بقلم وديع فلسطين

ولو كان زكي مبارك حيا ، لاحتج على أشد احتجاج لأنني
جردت اسمه من القابه ، واختزلته من مقدماته وذبوله ،
فكيف أجرؤ على أن أسميه مجرد زكي مبارك ، وهو
الاسم الذي اشتهر به ، بينما اسمه الكامل تحف به القابه
الجسام هو : الدكتور محمد زكي عبد السلام مبارك ، ملك
الشعراء ، وأكبر تلاميذ أفلاطون و « ما عرف رجلا أعظم
منّي » !

ولو اختصرت حياته لقلت أنه أكبر أديب مشاكس
عرقه العصر الحديث ، فلا أظن أن هناك أديبا عاش في
معارك متصلة ، ومشاكسات غير منقطعة ، ومشاكسات
لا تنتهي كزكي مبارك . (والمباكسات أوردها « المعجم
الوسيط » في طبعته الأولى ثم حذفها في طبعته الثانية !)
كنت في العام الدراسي ١٩٢٨ - ١٩٢٩ في آخر
مراحل الدراسة الثانوية في القسم الحكومي من الجامعة
الأمريكية بالقاهرة ، وكان استاذنا في اللغة العربية هو
السيد شحاته ، وهو رجل يختلف عن جميع أساتذة
اللغة العربية الذين عرفتهم من قبل ، فيه قدر كبير من
الوسامة والاناقة ، وله ذوق أدبي يحجب اليك الضاد ، وله
حظ واسع من الثقافة يطرده السام من « حصّة » اللغة
العربية ويحرصنا تحريضا على الانتظام فيها وإرهاق

يشد في فصل نشره في إحدى الصحف - ولعلها « الجمهورية » - بفضل السباعي بيومي عليه ، ويخصيه ضمن اساتذته الكبار من أمثال لطفى السيد باشا وطه حسين ، ولا أدري لم لا تقوم الأخت الشاعرة ملك عبد العزيز ، أرملة الدكتور مندور ، بجمع فصوله المنشورة في الصحف وهي آلاف ، ولا سيما لأنها تسجل خواطر مندور ونظراته في الأدب والحياة في نحو ربع قرن .

وفوجئنا نحن طلاب السباعي بيومي بمجلة « الرسالة » تنشر حملة شعواء على استاذنا من قلم الدكتور زكى مبارك . فوجئنا استاذنا ان يرجيه الدرس الى يوم آخر ، وان يقرأ علينا كلام مبارك وردده عليه . واستمرت هذه الحملة اسابيع ، ونحن نتابعها بشغف شديد لان استاذنا طرف اصيل فيها نستوضحه جوانبها المختلفة فيفيض في الحديث بأسلوب فيه احترام شديد للقيم الادبية . ولان زكى مبارك قد رايناه راي العين في العام ألفائت فصار معروفا لدينا . وظلنا نتابع معارك زكى مبارك مع الشيخ محمد العمراوى الذي وصفه بقوله انه « شخص معنوه مخبول ! ومعاركه مع احمد امين وطه حسين ...

ونقصت ايام الدراسة ، وخرجت الى الحياة تسهوني من منها منتديات الادب . ولا اظن ان هناك منتدى ادبيا عرفته القاهرة في فترة الاربعينات واول الخمسينات الا غشيته واتصلت برواده . وما انقطع عن غشيان تلك المنتديات الا بعد ان توبطني الدنيا بدروسها البليغات واينابها السامة . كانت تلك الندوات خالصة للادب ، وكسبان المترددون عليها من المؤمنين بالادب ، اسالدة وشادة . فلما زالها اهتمام الادب ، وانقض عنها اصلاء الادباء ، والزوج في وسطها الساعون بالتيمة ، وتحولت مناقشتها الى بيزنطيات فكرولوجية ديالكتيكية ، طلقت الندوات ، قائما بقصادي ، وكانوا وما زالوا من اشرف وجوه الضاد فسي حياتنا .

وفي هذه المنتديات عرفت الدكتور زكى مبارك ، فبهزنى علمه ، اما شخصيته فقد نفرتني منها اشد تنفير . لقد كان في تلك الفترة يعاني اضطهادا سلاحه الانفطسح محاربته في رزق اولاده ، وحرمانه من مكانه الطبيعى وهو التدريس بالجامعة ، والتضييق عليه في وظيفة التفيتش المتواضعة برزقه القليل واسفارها الكثيرة . فكان طبيعيا ان ينعكس هذا كله على حياته ، فلا يختار من مشارب القاهرة الا اوضاعها ، ولا يلبس الا الزي من الثياب ، ولا يهتم بتهديب شعره او خلق ذقنه . وكنت اراه في الامسيات جالسا بالساعات في تلك المشارب الرخيصة ولا هم له الا تأمل الناس والسائلة ، ومن حوله شيان من أمثال « احمد رشدي » الذي خصه بديوانه الكامل وهو « الحان الخلود » متشبيها به تشبها غريبا . وكنت اراه في الصباح المبكر جالسا في نفس الدار ، فلا ادري امضى الليل كله هنا ، ام انه عاد الى داره مسع

الفجر ، ثم غادرها مبكرا الى مقعده الخالد . وكنت اقتصر على تحيته برفع اليد ، ثم اهرول في طريقي غير عابىء بدعوته الى الانضمام الى مجالسيه من أمثال احمد رشدي . ناهيك بان موضوعه الاثير الذي كان يخوض فيه هو الطعن في خصومه الالقاء : النقراشي باشا ، والسنهوري باشا ، واسماعيل القباني ، وطه حسين ، واحمد امين ، وكان في طعنه جريئا حتى على الحق . فقد كان يقول عن طه حسين « انه لا يقرأ ولا يكتب » مشيرا بذلك الى ان سكرتيره يقرأ له ويكتب ما يعليه عليه . بل كان يقول عن طه حسين « لو جاع اطفالى لشويت طه حسين واطعمتهم من لحمه ، ان جاز ان اقدم الى اطفالى لحوم الكلاب » - وهذا الكلام منشور في ديوانه « الحان الخلود » . ولم يسلم من لسانه احمد حسن الزيات الذي فتح صدر « الرسالة » امامه ، ولا سلم منه لطفى السيد فقال عنه « ان التقادير اصارته رئيسا للمجمع !

وكنت اعرف ظروف زكى مبارك وارثي له اشد الرناء ، ولكنني كنت اراه بمسلكه مع نفسه ومعاملته لشخص زكى مبارك ، انما يقترب في حق ذاته انتحارا بعثيا . فهو لا يكاد يفيق ، وحياته تشرذ متوصل ، وحواريه ليسوا اهلا بحالته . بل ان القبول التسي واصل كتابتها اسبوعيا في جريدة « البلاغ » بعنوان « الحديث ذو شجون » ، والفصول الاخرى التي كان ينشرها في مجلة « الصباح » ، كانت خليطا عجيبا من كلام الغلام وهلوسات المجانين . صفحة كاملة من « البلاغ » كان يعاها كل اسبوع باي كلام يخطر بالبال ، وهي ثروة ادبية محضة بكل ما فيها من شذوذ العبارة ، وفلسفات الالسنه ، وتداعى الذهن والخطر . وعلى هذه التساكلة اصدر ديوانه « الحان الخلود » ، فجاء بدعا في الدواوين بمقدماته التي لا تضبط في اي لون من السوان الادب ، وباستفراذه وشطحاته ونزوانه ، ناهيك بما فيها من مظاهر « البرانوا » اي المغلظة الدائبة ، وناهيك بما فيها من روايات عن فئاته الفاتكات !

فلما نمت الصحف زكى مبارك في اوائل عام ١٩٥٢ (في الثالث والعشرين من يناير) حوت على هذا الاديب الكبير الذي كان يرجي لامته ، ولكن حروب « السروق » قتلت في ليلة فقد فيها توازنه وهو يغادر مشربه ، واذا كان يحاذر مركبة قادمة هوى علم ام راسه ، فاصيب بشبح في الجمجمة وارتجاج في المخ ، فعات بعته الذي عذبته طويلا وهذب كذلك جميع معاصريه .

واليوم يطالعنا حسين خريس بكتاب كبير ممتنع اشد الامتناع نفيس اشد النفاسة هو كتاب « جنابة احمد امين على الادب العربي » ، وفيه رصد للفصول التي نشرها زكى مبارك في مجلة « الرسالة » بهذا العنوان سنة ١٩٣٩ ، وقد ادرت على عشرين فضلا ، وفي الكتاب كذلك مقدمة طويلة للباحث الناقد خريس فيها انصاف لزكى مبارك

من معاصريه ومن نفسه أيضا .

وكان أحمد أمين عميدا لكلية الآداب واستاذًا للآداب العربي فيها مع أنه خريج معهد القضاء الشرعي ! أما زكي مبارك فكان يحمل ثلاث درجات دكتوراة في الآداب العربي، ولما أتيح له فرصة للتدريس في الجامعة بعقد قصير ، أنهيت خدمته بلا سبب أكاديمي !

وكان أحمد أمين قد كتب في مجلة « الثقافة » التي أصدرها هو وجماعته بعد انشقاقه عن « رسالة » الزيات سلسلة من الفصول عنوانها « جنابة الآداب الجاهلي على الآداب العربي » ، قال فيها أن الآداب الجاهلي أدب معدة لا أدب روح ، وأن الآداب العربي كله لا يعرف كتابا إلا ابن خلدون ولا شاعرا إلا ابن الرومي ، وأن أدب الجاهليين كان أدبا تركيبيا لا أدبا تحليليا ، وأن الجاهليين لم يعرفوا الوصف ولا أحسنوا تصوير بيئاتهم .

والنقط زكي مبارك قفازه ، ونزل إلى حلية المصارعة بكل مدته وعتاده ، فما قد وأنته الفرصة لأظهار « جهل » معهد كلية الآداب واستاذ الآداب العربي فيها ! وما دام أحمد أمين قد اتهم الجاهليين بالجنابة على الآداب العربي ، فليحمل وزر هذه الجنابة أحمد أمين نفسه .

ومضى زكي مبارك يشعل نار الحرب ، ويؤيدها وقودا وضراما ، فلم يدع لأحمد أمين جنبا يستريح عليه . وكان - على مناهجه المهود - لا يتورع من ركوب مراكب العنتريات ، ومن ذلك قوله « لو أن معدني كانت كما أحب من القوة والعافية ، لأكتل لحم الأستاذ أحمد أمين وأرحت الدنيا من أحكامه الجائرة في الآداب والتاريخ . ولكن الدهر حكم بأن أكون من أصحاب الأرواح ، فلم يبق لي نفسي محاسبته فير شيطنة الروح ، وفي الأرواح شياطين ! » . كما قال في سياق فصوله « ليس المهم أن تهدم الأستاذ أحمد أمين - فذلك غاية صغيرة - ولكن المهم أن تكشف شره من الآداب العربي » وأن نخرج من يتطلع إلى مثل غرضه من عوام الباحثين !

وقد نشر الدكتور زكي مبارك هذه الفصول في أشهر الصيف من رمضان ، وترأى إليه أن أحمد أمين ترك القاهرة ليصطاف في الإسكندرية عند صخرة « المكس » ، فكتب يقول : « أن الذي هجر من وصف الطبيعة هو الذي يصطاف بالإسكندرية كل سنة ولم يفتح الله عليه بغيره » . يقول أنه جلس على صخرة المكس ليأكل السمك الياس ، وليفكر في مصير الشمس بعد الغروب ، وليقول أنه تحاور مع هيان بن بيان !

ولم يكتف زكي مبارك بالرد على كلام أحمد أمين ، بل أورد ذلك بالكشف عن « سرقاته » ، وأغربها أنه سرق آراء الدكتور زكي مبارك نفسه .

حتى إذا ختم سلسلة فصوله التي « ارتقت جفون أحمد أمين خمسة أشهر كانت عنده كالف سنة مما تعدون » قال أنه إذا قابل أحمد أمين « فسأبده بالتحية حيث

نقته ، فلا يروني وجهه أراه أهلا للكرامة والحب . وسلام عليه من الصديق الذي لا يفدر ولا يخون » .

وقد أحسن صديقا خريس فلم شتات هذه المعركة الأدبية التي كان يطلها الصنديد وفارسها الرثيال زكري مبارك ، فلم يكن وكده إذن أن يسوق كلام أحمد أمين برميته ، ولا أن يسجل جميع القصول التي حفلت بهما المجلات الأدبية في ذلك الحين انتصارا لهذا أو تعصبا لذلك أو تطبيقا يراد منه إصلاح ذات البين بين المبارك والأمين ، ولعل حسين خريس ، لو أثبت هذه النصوص جميعها ، لجعل من كتابه « وإن تضخم واكتظ - مرجعا لعينا في الآداب » ، ومعرضا حيا للحياة الأدبية في عصرنا الحالي الذي مات فيه النقد أو كاد .

وقد شارك في معركة « الجنابة » كثيرون من أدباء العرب ، من لبنان وسورية والعراق وفلسطين والسودان ومصر ، وكلمهم نسبت أقوالهم اليهم دون تشكك نفسي شخصياتهم . على أن حسين خريس حين استشهد برأي الأنسة أمينة شاكر فهمي المدرج في مجلة « الثقافة » عقب على ذلك بقوله « لم نتحقق من شخصية الكاتبة أن كانت تكتب باسمها الصريح أم أن وراء هذا الاسم شخصية أخرى » .

ولو أن الصديق العزيز خريس راجع أعداد « الرسالة » و« الثقافة » ومجلة « الطالبة » لوقع فيها على فصول متناثرة لهذه الأدبية التي درست في كلية الآداب على أحمد أمين وعزام ، والتي كانت « تناوش » زكي مبارك برساكها تبذل عليها هنا وهناك ، والتي كانت حذيدة الأصحاب بالزيات وأسلوبه في الكتابة ، فلما انتهى الزيات وعصره وأسلوبه ، وانصرف الكتاب من الأساليب البيانية إلى الأساليب اليومية الدارجة ، أو أساليب التعقيد الفكريولوجي ، راحت تجتر الأثار القديمة ، وتصرف عن مطالعة الكتب السوقية الأساليب .

ولزكي مبارك قصيدة مشهورة ، بل ملحمة مسن ملاحم الأسى الصارخة ، عنوانها « من جحيم الظلم نفسي القاهرة إلى سبيل الوجد في بغداد » وقد نظمها في العراق عندما دعت حكومتها للتدريس في معاهدها وكرمتها واحتفت به الدولة ومحافل الآداب جميعا - على ما سجله عبيد الرزاق الهلالي تسجيلا فلذا في كتابه « زكي مبارك في العراق » بعد أن كان يدرع قضاة الله في مصر مفتشا على المدارس بعقد موقوف .

وما قاله في هذه القصيدة :

أرباه اتقنني فانت ريتنسي بقلب على عهد الأحياء بكاه
فأرادت أمينة شاكر فهمي أن تتحدى الدكتور
إبراهيم ناجي بأن يأتي بشعر من هذا الطراز العالي . فقرأت له صدر البيت ، ثم دته إلى أمام عجزه ، فارتجل :
أرباه اتقنني فانت ريتنسي بقلب على الأسود والدم شد
« أمينة » هذا ما أساني كتبه . وعندك أخباري وعندك البالي

وحدث مرة أخرى ان كان الدكتور ابراهيم ناجي جالسا في « نادي سيدات القاهرة » ومن حوله كوكبة من اعضاءه ، فمن « امينة شاكر فحيمى » والسيدة فلة فحيمى بدوي - ولها كتاب عن جورج برنارد شو ، ولها فصول كثيرة فى المجالات الادبية واسمها « الطالبة » - فقلت لناجي : اصحيح انك ترتجل الشعر ؟ فاجاب : نعم . فسألته ان يرتجل ابيانا من وحي المناسبة ، فكانت هذه الابيات :

سرب من الحور الفوان كالزهور نواشر
الهمنى واحطن بى نجري بشعري الخاطر
الهمنى وشككن بى ونسين انى شاعر
فاذا اعترفن فاني للفضل دوما ذاكر
وأنا « فلة » عارف والى « امينة » شاكر
فهذه الشخصية الادبية اذن ليست شخصية منتحلة ، بل هي واقع ادبي يعرفه ادبائنا المعاصرون وعلى راسهم نقولا يوسف شيخ مشايخ حارات الادباء المعاصرين !
وان الجهد الذي بذله حسين خريس لانصاف زكي مبارك ، مضافة اليه جهود من سبقوه وهم فاضل خلف في الكويت وناور الجندي في مصر وعبد الرزاق الهلالي في العراق واخيرا محمد محمود رشوان في القاهرة ، هو فريضة واجبة الاداء في حق هذا الاديب الذي اذا تعالى وصف نفسه بأنه اعظم رجل في العالم ، واذا تواضع قال عن نفسه انه « خادم من خدام العروبة » . انه اديب جنت عليه عقبرته وكبريائه ومعاصجه البعيدة فاضطره الى مقالة الناس جميعا في غير وقار . ومع ذلك يقول عن نفسه « لولا نشائي على الوقار لكتبت من كبار المصارمين » . وهو نفسه قد اعترف بأنه « اشتهر برعونة القلم وشراسة اللسان » . فكان ، كما قال صالح جودت بحق ، قتي اضاعوه في مصر .

وكانت كريمة زكي مبارك ، ابنة هذا الاديب الكبير ، قد نشرت تاليف كتاب بعنوان « ابي زكي مبارك » ، ولا ندرى متى يصدر هذا الكتاب فيكون على غرار كتاب « ابي عزيز باظلة » لابنته عفاف باظلة زوجة صديقنا نورت باظلة .

ومع ان كثيرا مما كتبه زكي مبارك ، ولا سيما في احاديثه ذات الشجون في جريدة « البلاغ » يصدق فيه وصف الراصفين بأنه « كالخربوط » قطار من الخشب ودرهم من السكر ، فان هذه الفصول البعثرة ينبغي ان تدمج وان تصادف اليها مقالة في « الصباح » التي كان يصدرها صديقنا الراحل مصطفى القشاشي ، ومقالته في مجلة « الرابطة العربية » لامين سعيد ، والمجلة الاخيرة ، على انها لم تعمر اكثر من اربع سنين ، فقد حلت بدرانسات ادبية واربجية هامة للعاللي وزكي مبارك وامين سعيد نفسه ، وما زال اخوانا الاديب التونسي الراوية الحبيب شيبوب يبحث عبثا عن مجموعتها ، ولن يعدم اربحيا من

ارحبي الادب يدله عليها ويضعها رهن اشارته .
وكتاب خريس وهو الذي اغرائني بهذا الحديث المستطرد ، كان من الفه الى يائه دفاعا عن زكي مبارك وعرضا كاملا لارائه المسوقة في « جنابة احمد امين على الادب العربي » والقاريه عرضة بان يخرج من هذا الكتاب بنتيجة مؤداها ان العلم كله عند زكي مبارك ، والجهل كله عند احمد امين ، ولا احسب ان هذا يصح في الموازين . وان كان الحديث المستطرد يدعو الى وقفة عند احمد امين .

وقد عرفت احمد امين في محاضرة مفتوحة كان يلقيها في جامعة القاهرة ارتجالا ، فكان محاضرا ممتازا سواء من حيث النبرة الرصينة التي تميز المحاضر عن الخطيب ، او من حيث شد اذان السامعين ، او من حيث الامام بموضوعة الامام احاطة ، ثم الاقتناع بما هو قائله . ثم عرفته في الندوات الاسبوعية « اللجنة التاليف والترجمة والنشر » التي كانت تنعقد كل اسبوع ، وتضم حشدا من رجال الفكر مثل : الدكتور محمد عوض محمد ومحمد عبد الله عتار ومحمد مندور وعلي ادهم وعبد الواحد خلاف وعبد السلام الكرداتي وعبد المنعم خلاف ومبارك ابراهيم وشوقي شيف وسيد قطب والدكتور احمد زكي والدكتور زكي نجيب محمود . . . وكانت ندوة عليها طابع الوقار ، وهو السمة الغالبة على كل اعضائها ، وكسل مناقشتها في الفكر العربي او في الفكر الغربي تجد من احمد امين مشاركة نيرة فيها . ثم عرفت احمد امين في الادارة الثقافية للجامعة العربية ، وكان اول مدير لها ، وقصد استطلاع ، على علمي ، ان يرسي له دعائم في الثقافة سارت عليها من بعده . وعندما اصدر كتابه الذي سجل فيه اذكاره لوالديه وحياته وسيرته ، وسماه « حياتي » نشرت عنه كلمة في احدى الصحف ، فتلقت من احمد امين رسالة شكر ما زالت ضئيلة من ضنائي . اما احاديثه في الاذاعة فكانت احرص على الاصفاء اليها لارياحي الى صوته والى الموضوعات التي كان يحسن انتقاها ليدير حولها احاديثه .

على انني كنت اعجب حين افتتح مجلة « الاثنين » وهي مجلة اقرب الى مجلات العوام منها الى دوريات المتخصصين ، فارى احمد امين يكتب فيها فصولا لا تليق برجل في سنة ومزنته . كما انني كنت ادهش اذ ارى كتابا تصدر حامله اسم احمد امين كمؤلف او محقق ، الى جانب اسم واحد من شدة الادب . فكيف كانت المشاركة في التاليف بين هذا الاستاذ الكبير وبين من هم بمقام طلابه ! بل كنت ارى كتابا تصدر وعليها اسم احمد امين كترجم ، مع ان الترجمة لم تكن يوما من اختصاصه .

وابا كان الامر في ذلك ، فقد عرفنا في احداث رعاة للناشئة اذكر منها واقعتين ، دون ان انهل الى مجموعتي من « الثقافة » للاهتمام الى موضعيهما . فقد كتب سيد قطب مقالا في « الرسالة » قال فيه ما مؤداه انه بعدد

اغنية القندبل

قدماي تحترقان
في دنيا عبوري
وتسيطر الاسوار في
أقصى شعوري ..
لم لا تحسدني ...
وتدخل في دياجير اختراقي
لم لا تجف من تعاشيبي
تعاسة مولد .. واسى قديما
لم لا ترافقني
الى غيش الجاهل والفيوب
فاري بعيني الموت والميلاد
افهم كيف ينتقل الزمان بلا مكان
اسمع الهمس الذي يتناهي فاذيبنفي
.. فوق اوراقي حنيئا واحتجاجا ..
لم لا ترافقني
فاحيا لحظة زرقاء من عمري العقيم

الناظر - المغرب القري الحسين

ولولاه الحياة أنصفت زكي مبارك ، ووضعت حيث
كان ينبغي ان يوضع ، لانصرف الى اعداد كتب جليلة اخرى
من طراز « النثر الفني » و« التصوف الاسلامي »
و « الشريف الرضي » .

انه اديب جنت عليه عقرباته والقاب دكتورته الكثر !
ففي عشرين عاما من عمر الجامعة المصرية الحديثة لم تمنح
درجة الدكتوراة الا الى اثنين ، هما عبد الوهاب عزام
وزكي مبارك ، ومع ذلك ابت الجامعة ان تتمتر بالبارك
استاذنا فيها الا لفترة قصيرة .

والحمد لله ان الزمان التقدير التي حرمانه في حياته
- في ما خلا تقدير العراق - قد جاءته اليوم تسمى باقلام
المنصفين المدول . وصلى حسين خريس في قوله :

انها معنة جيل لغفت وجهه التاسع احقاد القلوب
معنة الحق الذي لم تاله من جهر القول والرائي الصيب
معنة العدل الذي لم تله من خميم واليف والغريب
معنة القاب الذي قلل على قسا بهمي شبايع طيوب
كنت في نيباء فردا واحدا تناسي الظلم لا تغشى الغيوب
للتشجينا حضورا مللنا شس فكر عن نسا لا تقيب
تري هل تعلمنا من قصة زكي مبارك درسا يداوي
امة العرب من ذاء الجحود ؟

وديع فلسطين

القاهرة

سنوات طويلة من العناء في الحياة الادبية تأليفا وتصنيفا ،
لم يجد احدا من كبار الكتاب اشار اليه بحرف او اهتم
بكتاب من كتبه ، وكانت نعمة المقال نعمة تنضج بالمرارة
لان كبار الكتاب يعملون من هم من جيل نال ، ولا يذكرهم
بكلمة خير . وكان الرد الابغ على شكوى سيد قطب
مقالا افتتاحيا حملته « الثقافة » من قلم احمد امين ، وجه
فيه الخطاب الى سيد قطب مواسيا ومباركا جهده وموكدا
له ان النجاح الحق تراه الناس ولا تعوزها عليه شهادات .
هذه واحدة . والواقعة الثانية هي ان صديقنا القديم
الدكتور شكري فيصل قدم الى الدكتور احمد امين نسخة
من كتابه الاول . فكان حرص احمد امين على قراءته
والكتابة عنه وابداء ملاحظاته وتوجيهاته عليه حرصا
استاذيا ابويا .

ومعارك زكي مبارك تنتهي دائما بانتصاره ، لانه
وحده القادر على المضي في هذه المعارك حتى يجد خصمه
الا فائدة من مواصلة الرد عليه ، فاذا افرغ الزكي ما قسى
جميعته - وجميعته لا تفرغ ابدا - كان الخصم قد لاذ
بسلامة الصمت ، وكان هو وحده الواقف في الميدان . وقد
قال عنه الزيات ، وهي شهادة رجل بصير بالنفوس ، « ان
زكي مبارك لو استطاع تملق الظروف ولو خلق شيئا من
الحياة لالتقى كثيرا مما جرته عليه بدواة الطبع وجفافة
الصرائح . ولكن هذه الاغراض النفسية ستفنى فيه وفي
الناس ، ويبقى ذلك المجهود العملي الضخم الذي قلمه
الى الادب العربي في شتى مناحيه شاعرا على صادق
خدمته الادب ورفيع مكانته في النهضة » .

ان زكي مبارك « ظاهرة ادبية » فريدة في حياته
الماصرة ، على ما وصفه فتحي رضوان قسى فضلين له
نظرا اخيرا ، كان مكانته الطبيعي بين قادة الفكر في عصره
طه حسين والمقاد ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي
والمازني وعبد الوهاب عزام واحمد امين وشفيق غريبال ،
ولكنه لم يكن يختار الا مجالس صعايك الادب في مشارب
القاهرة ! سافر الى العراق فوقف محمود عزمي يقبول
للعراقيين ان زكي مبارك مشارب فاحلوه ، ولكنه قضى
في العراق تسعة اشهر ناء فيها بمودات وصداقات واخوات
ظلت لهنم الى آخر العمر ، ولم يخفهننا لعمرة واحدة .
و « الشغب » الوحيد الذي احلته في العراق ، هو مطالبته
الحديثة بانشاء جامعة عراقية تهى اسباب العرفان لابناء
العراق . والكتاب الذي أصدره عبد الرزاق الهلالي عن
« زكي مبارك في العراق » هو انشودة بوم وغزل في هذا
الاديب الذي كان مشاكسا قبل العراق ، وعاد الى
مصولاته بعد العراق .

ولو تأملنا اسباب الكائن وراء هذه الظاهرة المباركية ،
لما وجدنا الا سببا واحدا هو « الجود » ، وهو سبب ما
زال متفشيا في عالنا العربي الى يومنا هذا ، يعاني
منه في صمت كثيرون من كبار الادباء الذين يرون الحياة
تعمج بالهولوات وترتفع بهم الى سدة الحياة الفكرية ،
بينما النسيان يلغهم باسمك البرود ، بل الاكفان .

الغريب

الى اين تمضي ؟
وحيدا كصبرة القبر
وجهك بشر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المشبهات استعلن واصبحن غابه
الى اين تمضي ؟
وليل المدينة يمتد حولك
والطر المستهل يباكي شوارعها الخاليات ؟
وانت وهذي الوريقة فوق الرصيف
تزوبعها الريح ..
لا من صديق
ولا من شياء سوى ذبذبات المصاييح
والشقق النافذات تسلل منهجن ميسر
النوافذ خيط من الفسوء ...
ينبذ عن آخريين يعيشون جو العنان
وطعم السودة ..
كوب من الشاي ؟ ... لفظة ود ؟ وجلسة
عائلة ما تريد ؟ وكيف ؟
وانت الغريب الجديد على هذه البلدة
المستحقة في مطر الليل ارملة
كفتها التاموع ..
ستمشي ويرسب في قلبك
الطر التساقط في العرفات ..
وحيدا كصبرة القبر
وجهك بشر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المشبهات استعلن ...
واصبحن غابه .

كمال نشات

بفداد

زوجتي الحبيبة ..

هل تسمحين لي بأن أخرج من (الدار) فلا أبدا رسالتي بمقدمة تكاد تحفظها على ظهر قلب من سلامات وتحيات ، هي حقاً من القلب .. ولكنها المسى اللسان والقلم اقرب ..

اكتب لك من سيناء .. ولا اجدي في حاجة الى اعتذار ، او ذكر اسباب عن عيالي عنكم ما يقرب من الشهر او يزيد .. واعدوني مرة اخرى فنحن هنا لا نعرف الزمان ، ولا نقيم له وزناً ، ولا اظننا في حاجة اليه .. وليس لنا من معرفته مارب . كل ما بمنينا منه تاريخنا ، احدهما عرفناه ، اما الاخر فما زلنا نتربح ونتربص به .

الاول المعروف هو السادس من اكتوبر ١٩٧٣ والثاني المرتقب هو اليوم الذي سيتوج اليوم الاول وبفهره بالاكابيل والزهور . تاريخنا يكونان معاً جملة مفيدة ومعبداً . الاول مبتداً مرفوع ، والثاني خبر .. ولا بد ان يكون مرفوعاً .. ومهمتنا هنا كما تعلمين هي هذا الخبر ، فلا نقبل له نصيب ولا جراً ، ومهما حاول الاعداء المضادة والمؤاربة والتضليل في محاولات لكي لا يكون الخبر مرفوعاً بالضمّة الظاهرة ، فلن ينالوا من وراء ذلك مارباً . فسواء كان الخبر جملة اسمية او فعلية او شبه جملة فسيكون حتماً في محل رفع . هذه لغتنا .. وهذا ايماننا . زوجتي الغالية ..

احمد الله سبحانه ان وهبني زوجة متعلمة .. بل ومدونة لغة عربية . واهم من ذلك كله انها مؤمنة ولست في حاجة الى ذكر المزيد مما احتفظ لك به من حب وتقدير .

اما انت يا عزيزتي سحر .. فلا ادري ماذا يجب ان اقله لك ، ان قلبي ليجيش لك باكثر مما تستطيعين فهمه وادراكه ، في ميلادك السابع الذي تخلفت عن مشاركتكم فرحته واستقباله لأول مرة منذ ان اشرفت علينا شمسك البكر ، واقتحمت علينا

خلوتنا الجميلة ، فزادها جمالاً . واحالت مالنا الضيق الى عالم رحيب ، وبدد خمولنا ... فاضحى سعياً وبدلاً ، ولكن في لذة وشوق .

انتي لم اتخلف عن حفل ميلادك رغبة مني ، ولكن لاداء واجب جليل ... هو ايضا من اهلك ومن اجبل امك ، ومن اجل كل من تعرفينهم وتحبينهم . انتي لم اتس يوم العائز من اكتوبر ، لانه يوم ميلادك . ولكن ما حيلتي وقد شغلتنني عنه احداث واحداث .

لا تغضبي يا بنيتي العزيزة ، حين تطعن انتي فضلت عليك عزيزاً اخر ، واكرت يومك يوماً اخر . نستعلمين حين يستوي عودك ، وينضج فحمك ، ويتسع ادراكك انتي كنت على حق ،

٧ عبات من الرمل

بلكم السيد عبد العزيز الجندى

وانتي لواق من انك تشكريننسي وتفخرين بي اذا طال عمري . امسا اذا لم اعد ، وقدر لي ان اكون مع الصديقين والشهداء فستذكرينني دائماً بخير ، وستفخرين بي كل الزميلات والصديقات لانك ستذكرن بانني لم افضل ذلك الا ممن اجلك وما ضحيت بسروحي راضياً قائماً الا فداء لك ولكل من تعرفينهم .



لقد حل علينا العاشر من اكتوبر .. يوم ميلادك العظيم ونسني في خضم المارك ولججها . ورغم ذلك كله لم يفارقني طيفك العزيز . كانت صورتك في مخيلتي بمثابة سلاح جديد في يدي .. وزميل وفي يشد ازرعي .. ودافع قوي يدفعني للوصول الى غاية اسمى من كل غاية .

كنت واقفاً .. احمل قاذفاً مضاداً للدبابات ، اصلي به دبابات العدو نارا ذات لهب . وكلما اصبت واحدة ، اشتاقت نفسي الى غيرها . واذا اصيبت احدي دبابتنا ، اسرعت الى نجدة طاقمها في عزم واصرار . فقد كانت مقبدي حين ذاك انسي ادافع عنك انت ، واودع عنك كل شر واذا . وقد مر بخاطري شيء عجيب ضحكك كثيراً مع زملائي حين ذكرته لهم ، وتذكرنا عليه كثيراً حين هدات المارك .. لقد فكسرت ان احتفظ باحدى دبابات العدو والمدمرة لاجرها لك .. لا ادري كيف .. ولكني كنت واقفاً في تقديمها لك هدية في عيد ميلادك السابع لاول لك : هذه الدبابة كانت تريد ان تفتك بك .. فدمرتها .. واحضرت لك حطامها هدية لك .

في ذلك اليوم .. وبعد ان تبددت فكرة تلك الهدية ، راودتني فكرة اخرى اقتنعت بها تماماً وهي ان اقوم وحدي بتدمير سبعة من دبابات العدو وبيران قاذفي . واحصيت ما دمته في ذلك اليوم فوجدته خمسة دبابات ، وكان لا بد لي ان انما الى سبعة ، لتكون كل منها بمثابة شحنة تطفئها مقذوفاتي كما تطفئ شموع ميلادك . ولم اكد انتهي من تخيلاتي ، حتى لاحت لنا من بعيد مجموعة هائلة من دبابات العدو . وفي لمح البصر تحركت دباباتنا .. واخذنا نمنظرها بساويل من قذائفنا يميناً وشمالاً حتى القينا بها بين براثن الصحراء فتمزقت .. وتدمرت .. وذهبت بدداً . وفي نهاية المعركة ، خلال فترة هدوء

قصيرة ، أردت ان احصي ما دمته بقاذي من دبابات ، فلم استطع كل ما عرفته اني دمرت اكثر .. بل اكثر بكثير من عدد سنوات عمرك . عزيزتي العالمة سحر ..

لقد استمرت المعارك بعد ذلك في ضراوة وعنف ، اشتركت فيها جميع اسلحتنا من طائرات ودبابات ومدافع وغير ذلك من اسلحة .. استطعنا فيها ان نحز انتصارات عديدة .. وبطولات نادرة بفضل ما تكنه لكم من حب .. ويقدر ما تبلونه انتم من اجلنا . ولا اجدي في حاجة السي مزيد من وصف هذه المعارك ، فلا شك ان صفحتنا ومجلاتنا وجميع اجهزة الاعلام عندنا تتحدث منها . ولكنني ساعدك في رسالتي هذه عن ذكريات عزيزة .. سبق ان تحدثنا عنها كثيرا .. امك وانا . انها فلسطين الحبيبة ، التي ساعدنا ببرارتها .. امك وانت وانا ، في نوفمبر عام ست وستين .. قبل عدوان الخامس من يونيو بشهور قليلة . انني احاول الان ان امسقي الزمن ، وان اخترق هذه العواجز التي لم تخطمها اسلحتنا بعد .. وكاني استجدي الزمن ان يحملني رياح ساهرة الى حيث كنا نعلم بخيرات فلسطين .

اتنا نقف الان في ارض سيناء ، على مسافة من قناتنا .. ما زلت اعتبرها قصيرة . لقد عبرنا القناة واجتزنا بذلك اكبر عقبة في حياتنا ، وحطينا كذلك خط بارليف السدي صوره لنا شبحا مخيفاً .. لا ينجو من يحاول الاقتراب منه . حطمتها .. ونهطتها .

وكل ما بقي في الطريق اليها .. الى فلسطين اصبح هينا سهلاً . ولكن لا حيلة لنا ولا خيار ، ولا مناص من تنفيذ اوامر المسؤولين من قادتنا بالتوقف ووقف القتال . عزيزتي سحر .. كلما تسلك الينا فترة راحة .. مهما قلت وقصرت ، عادت الي

ذكرى ميلادك السابع .. وتسرب في هذه الذكرى خاطر غريب ملحاح . يهيب بي ان ارسل اليك هدية هذا الميلاد ، ولا اكتمك انني ضحككت احياناً من سلفاة هذا الخاطر . فبماذا ابحت لك ، وانا في سيناء ، لا اجد حولي ما استطيع اهدائه لك . عند ذلك .. يتقطب جبيني ، واجد نفسي غير راض عن قرار وقف القتال فقلنا ذلك لكنا الان في العرش .. او ابعد من ذلك باذن الله . ولكنني اعتديت اخيراً الى هدية قد تكون غريبة .. وقد تكون فريدة في نوعها . وقد لا تناسب عمرك وادراكك ... ولكني مرسلها على اي حال . لاني على يقين من ان معناها سينجلي امامك على مر الأيام والأعوام .

لماذا لا ارسل لك حفنة من التراب .. من ارض سيناء الرحيبة .. ولكن كيف اضعها في مطروب رفق من الورق ، مستقاذفة مكاتب البريد من بلد الى بلد . وتتلغف الايدي في اكثر من مكان فضلاً عن انه سيكون مشيراً للريبة . لذلك .. فقد اعرضت مشيراً تفصيلياً خاصة بهذا ان ابحث لبي في الافق بعيد قلعة جديدة قالبت مني قبولا وتفضيلاً .

لماذا لا ارسل اليك شيئاً رمزياً من بعض الاماكن والمدن التي سما اجنها نحارب ، واليهما نسمى . لا ولا كانت هذه الاماكن كثيرة وفسيحة ، فاختار لك سيمة منها . وسارمز لكل منها بحبة من الرمل : الحبة الاولى .. من الشاطيء الشرقي للقناة .. القناة التي اغتصبتها منا عصابة الصهاينة منذ اكثر من ست سنوات ، في اعقاب حرب خسرتها ، نتيجة لاختلاف نحن بريثون منها براءة الذنب من دم بن يعقوب .

اذكر انني ووصفت لك يوما هذه القناة ، وكيف قضينا ساعات طويلة نلهو في حديثها عند المنطقة رقم ستة بالاسماعيلية ، ونسبح بين امواجها الصافية الرقاقة في قارب صغير ، وانت على صدر امك فسي

دناك التقليل . ان الصور العديدة رابضة فسي الالبوم تزينها وتبهرها صورتك الحبيبة حين نسم يتجاوز عمرك شهوراً معدودة . اذكركين يا حبيبتي حين كنت تطلين مني وتلحين علي ونحن نسترش تلك الصور ان اصحبك معي للزهة في هذه الاماكن من جديد .. وهل تذكرين اجابتي عن رغبتك هذه .. كنت اقول لك : قريباً يا عزيزتي .. قريباً ان شاء الله .

لقد كنت ابتهل الى الله عز وجل ان يميني على تنفيذ رغبتك الغالية . وقد استجاب الله دعائي بمعد ان استطعنا بموته ان نعبّر قناتنا ، ونطورها من الرجس ، لكي نعلم بالزهة فيها آمنين مطمئنين هذه هي القناة .. وهذا هو رمز اول حبة من حبات الرمال .

اما الحبة الثانية .. فقد اخترتها لك رمزاً لاول مدينة صغيرة نمر بها .. او يمر بها قطار الشرق في طريقه الى فلسطين . انها مدينة القنطرة شرق ، التي استطعنا في سهولة وبسر تطهيرها وانتزاعها من الاعداء . هذه المدينة التي يستريح عندها القطار في رواجه وابوابه ، يلتقط انفاسه لينبض الفرصة الى سكانها من اهالي وموظفين لاستقبال الزائرين منا والعائدين ، وفي مقدمتهم رجال الجمارك العرب لمراجعة ما نعمله من هدايا .

ثم يستأنف بعدها رحلته الطويلة ، ينساب بين الرمال في اناة امقتراباً من البحر الابيض حينا ، ومبتعداً عنه احياناً ، ليتيح لنا رؤية تلك البقاع . بحرها وبرها . كلها ملك خالص لسا دون غيرنا .

حتى اذا ما وصل القطار السبي منتصف المسافة بين القنطرة والعرش يتوقف وقفة قصيرة ، عند قريسة عربية اصيلة .. هي بشر العبد . تلك القرية التي تستقبلنا من بعيد برائحة الشواء تتركز اوفنا .. وتحسرك

امامنا . وفي لفة وشوق نجد
الرؤوس قد اطلت من نوافذ القطار ،
لرؤية اولئك الصبيبة الذين يحملون
السلك الشوي والخبز .. يتجولون
لمرض بضاعتهم على الزائرين ، حيث
لا يجدون مشقة ولا عناء .. فالكسل
يعرف ان معظم سكان هذه القرية
صيادون .. وبيوارهم البحر العظيم
بما فيه من ثروة مائية هائلة . كما
يعمل اولئك البائعون الوانا اخرى من
البشائع والماكولات كالتمر .. يضعونه
في سلاسل صغيرة من زفاف النخيل،
تريد ان حلاوة مذاها جمال منظرها
وروثه . ولا اكتمل سرا يا عزيزي
ان ذكر خبرات هذه البلدة .. بشر
العبد قد اسال لعابي . لذلك .. فلا
يفوتني ان ارمز لها بحبة الرمل
الثالثة .

واذا ما تحرك القطار من بلدة
السلك والتمر .. وقد استوى
الركاب على مقاعدهم ، واضية
نفوسهم طامعهم من النوافذ اشجار
النخيل غزيرة على جانبي القطار ،
ترفع قاماتها الى عنان السماء نسي
اباء وشعم .. تدعو الزائرين السى
معاودة ابراز رؤوسهم من النوافذ
رغم ما يقابلهم من الترسية وذرات ،
حتى لا يفوتهم التمتع برؤية مزارع
النخيل الممتدة على امتداد الصحراء .
وعندما يبدأ الفبار شيئا فشيئا ،
وتشعر نحن المسافرين بنسيم رطب
ندي ، بلا غبار ولا رمال .. وعندما
نسمع انين محلات القطار ، وتلجج
عرباته ، وطرقعة مفاصله .. يكون
ذلك اعلانا من اقتراب مدينة العريش
حيث يبدأ المسافرون اليها في جمع
حقائبهم وحاجياتهم ، والتوجه الى
ابواب القطار .. حيث تستقبلهم
جموع حاشدة من المستقبين على
المحطة .. التي يقرب منها مكساد
يحضنها البحر الابيض الذي تنتشر
على شاطئه مزارع النخيل ، وتقام
المباني والخيام .. وتظهر عن كسب
شماسي المصافب بالوانها الزاهية
وسارم لهذه المدينة العربية بحبة
الرمل الرابعة . تلك المدينة التي
تنبض بالحياة في قوة وصخب صيفا

وشتاء ، مكتظة باهلها وسكانها
وزائريها .. من مدنيين وعسكريين
من افراد القوات المسلحة الذين
يتطلعون الان اليها في شوق ونهم .
ويتحرك القطار في قوة ونشاط ،
بعد ان يترك افواجا ويصطحب افواجا
اخرى . ولرؤاد سرته من ذي قبل
على مدى ساعة من الزمن ، بلا شكوى
ولا انين في جو صحو جميل .. حيث
تقل مزارع النخيل وتستقبله انواع
اخرى من المزارع .. مزارع الصحراء
ذات الجمال الرياني .. ترويه السماء
بعلمها وتنمهد برعايتها وقدره خالها
.. وكما يستعيد القطار نشاطه نسي
نحن الركاب مشقة السفر وجهود
رقابنا ورؤوسنا المشدودة خارج
النوافذ .. في محاولات دائية لرؤية
كل شيء من انسان وحيوان ونبات .
ولا يكاد احد منا ينظر الى ساعتها
حتى تطلعنا مشارف الرقبةين ...
رفع مصر .. ورفع فلسطين .. هما
بلدة واحدة لا يفصلهما غير سور
وهي في محاولة لرسم حدود مصر
وفلسطين . لقد تهايل الان .. واقد
نكون مؤاخذة لـ () او بـ ()
سبب وجود هذا الفاصل ، ولكنى
سأترك الاجابة على سؤالك هذا لامك
.. فربما تستطيع اشباع فضولك بما
لها من قدرة في هذا المجال .

لقد قضيتا في رفع فلسطين التي
سارم لها بالحبة الخامسة يوما
كاملا . ساعات طويلة ، صبر
كانها دقائق معدودة .. ونحن ننقل
من متجر الى متجر ، ومن معرض
الى اخر ، نشاهد .. ونستعرض
.. ونساوم .. ونشتري . كنسا
ماخوذين بروعة تلك المعارض ، وما
تحمله من مختلف الهدايا والتحف
من ملبوسات ومفروشات واجهزة .
واذكر الان ان اول ما فكرنا في شرائه ،
واول ما اشتريته بالفعل هو البطانية
الصوف الصغيرة ، التي دترناك بها ،
وذلك (الزعبوط) الذي وضعناه
فوق راسك باطرافه الكثيرة المتدلية ،
وخطوطه المرككة الزاهية .. وما
تبع ذلك من محكات وتعليقات بموت
مستكنة على صدر امك ، تنظرين

اليها وحواليها في براءة وطهر .
تلك هي رفح يا عزيزتي ، التي
يستريح عندها القطار قليلا ، ثم
يوصل رحلته في قلب فلسطين
الحبيبة .. وفي ارضها الرجبة ،
المليئة بالخير والحب والذكريات ..
مارا بكثير من القرى الصغيرة فبها
وخيامها حتى يقف وقفة قصيرة
اخرى عند خان بونس التي لا تختلف
كثيرا عن رفح فيها التاجر والمعرض ،
وان كانت اقل عددا وروعة من
سابقها .. رغم انها اوسع رقعة ،
واكثر ازدهاما بالسكان الفلسطينيين
والمصريين من رفح .. ذي الشارع
الواحد الشهير ، الذي تنتشر فيه
المعارض على الجانبين .

لم تنتشر بزيارة خان بونس
حينئذ لضيق الوقت ، وارتباطنا
بالايام الثلاث المحددة لزيارتنا وان
كنت انا قد زرتها كثيرا من قبل ،
وقضيت في معسكراتها كثيرا من
الايام واليالي في نطاق عملي .
وحتى يحين اليوم الذي نزورها فيه
مرة اخرى ، وقد استوى عودك ،
وتسطين مشاهدتها ويكون معنا
ايضا احد الصغير خالد ، السدي
كنت تتفاخرين عليه عند ذكر تلك
الزيارة التي واقفتنا فيها ، ولم يكن
هو قد ولد بعد .. الى ان يحين ذلك
اليوم ، الذي اراه قريبا باذن الله
سارم لهذه البلدة خان بونس بالحبة
السادسة .

ويتحرك القطار في اثناء مرة اخرى
كانه في نزهة بين تلك الربوع والمروج
.. ويصل الى اسماعنا صغيره
المتقطع ، كأنه يتنابذ من جراء عمل
شاق طوال يوم كامل اوشك علسني
الانتهاء . حتى اذا ما وصل الى
مدينة غزة .. نهاية المطاف ، توقف
عن السير ، وطلعت وقفته ، ليفرغ ما
به وما عليه من اثقال . لقد كان ذلك
اليوم من اجمل ايام حياتنا .. يوم
ان وقفنا على رصيف محطة غزة ،
ننفض ما على عك من ملابسنا من تراب .
وقادنا احد الصمايين الى اقرب
فندق من المحطة ، لا اذكر اسمه .
ولكنه كان قندقا جميلا وما اكثر

الرجعي اليك

وكلبي بات مرتهنا لديك
ابعت لي السنا في ناظرليك
ولا عتني علي ولا عيسك
تعلمت الوفاء على عيبك

فوزي عطوي

ابعد عنك ، والرجعي اليك
وانت اذا تسدجى افق عمري
حنالك ، لست عن دنياك اتأني
وحسبي من هواء الطوى اتني

محطمين يوابل من قذائفك السائلة .
والحمد لله لقد كانت عندنا امدادات
كافية من اللابس التي استبدلنا بهـ
اللابس البلية . ولم يكن لدينا وقت
فسح لمعد اجتماعات اخرى ، حيث
كان القطار يتحرك من غرة ليبدأ رحلنا
المودة في فجر كل يوم . لذلك ...
فقد اخطينا حجرتنا على عجل :
حاملين حقائبنا لنلحق بالقطار . وفي
نيتنا عزم وتصميم وفي قلوبنا شوق
لماودة زيارة هذه المدن كثيرا ...
وكثيرا .

عزيزي سحر ..
لقد وصفت لك هذه الاماكن العربية
دون تفصيل ولا اطناب . ولكني اعلمك
بزيارتها قريبا ، بعد ان يتم لنا النصر
بإذن الله . كما اخذك خالدا بان
يكون معنا لكي لا تضاخريه بذلك مرة
اخرى . وستكون اقامتنا بنفس
الفندق ، الذي تركنا فيه اثرا منك ،
وسيكون خالد كبيرا . ولن يغفل
ما فعلته انت . وستعتمد الى صاحب
الفندق مما تركناه من آثار . وانتي
لواتي بان ذلك الرجل اذا كان موجودا
ولم يقتله المستعمرون ، او يطردوه
من بلده . او يجبروه على الرحيل
كيسبكونا ويرحب بنا اكثر من ذي
قبل لان الابر الذي تركناه في حجرتنا ،
وعلى جميع الاسرة يحدث من كل
طفل صغير ومهما يكن من امره فان
ذلك بلا شك افضل بكثير من آثار
اقدام الصباينة التي تدنس كل نظيف
وطاهر . وفضلك بفرح المؤمنون بنصر
الله .

هذه هي حبة الرمل السابعة .
وهذه الحبات السبع هي هديتي اليك
في ميلادك السابع ، وسيبتك لك
الزمن . ويؤكد لك المستقبل ان
هديتي هذه هي اعلی والتمن من كل
الهدايا التي قدمت أو ستقدم لك .
لأنها وثيقة عمل وجهد ، ونصر باذن
الله .

والى ان تلقني ادعو الله ان ينصم
عليها بالنصر والحرية . انه سميع
مجيب الدعاء . والسلام .

القاهرة السيد عبد العزيز الجندى

بالفندق كان بها اريمة من الاسرة ،
استأجرناها كلها لكي لا يشاركنا في
الحجرة غيرنا . فكان لك سرير
خاص . وفي الصباح وجدنا الحنية
من تحتك . وما عليها من ملامات قد
تبكت لي اكثر من مكان . وكان
موقفنا حينئذ غاية في التعرج . فلم
نغادر الفندق في ذلك اليوم الا غي
ساعة متأخرة . بعد ان قلبنا
الحنية على وجهها الاخر ، وبعد ان
جفت اللادة وما تحتها وما عليها .
وفي الليلة الثانية نلقناك الى
بيبرياخي ، واحضارك بيد مين
الوسائد التي لا تنزكي لعائلك الى
مكان اخر . وفي الصباح اخطينا
نضرب اخبايا بانداسي ، عندما
وجدنا لفائفك جانة ونظيمة اغلب
الطنك انك كنت تبحثين عنا ، يميننا
وشمالا . وفوقنا وتحتنا . واسلمنا
وخلفنا . وكنت تتركين اثرا لك في كل
مكان . ودليلا يهدينا اليك .

وعقدت مع امك جلسة طارئة .
ومعلقة . بحثنا خلالها الوقتف
واحتمالاته ، وقرروا في نهايتهما
الاستراف بما الحقنا بصاحب
الفندق من اذى . كما تقرر تعويضه
عن خسائره في صورة منح سخية
نقدمها لمدوبه الدائم المكلف بخدمتنا .
وفي الليلة الثالثة . آخر ليلة
نقضيها بالفندق ، قرروا ان تشاركنا
فراشنا ، حيث جعنا سيرر واحد ،
وانت في وسطنا محاصرة بين لفائفك
.. ومن خلف لفائفك اقمتا خطين
منيعين هما امك وانا وفي الصباح
وجدنا الحصار مكثكا ، وخطى الدناغ

الفنادق الجميلة في تلك المدينة .
وارادت امك ان تغادر الفندق لتونا ،
لكي نستطيع الامام بمعامل غرة قبل
حلول المساء ، ولكني طمانتها الى
اننا في مدينة لا تفرق كثيرا في ليل
ونهار ، لما في ليلها من انوار واضاء
... وزينة وخيلاء ، كاعظم احياء
القاهرة والاسكندرية . . ومشرق .
وبروت . خاصة في شارعها
الرئيسي الكبير . . شارع عميسر
المختار ، الذي يمتد من المحطة الى
البصر ، والذي لا يغلو من الزايرين
من مختلف الجنسيات العربية ،
بالاضافة الى الجنسيات الاخرى من
غربيين وشرفيين من السياح
والبوليس الدولي .

تجولنا في شوارع تلك المدينة
ليلا ونهارا . . وزرنا معظم محلاتها
التجارية . واكلنا كثيرا من خيراتنا
.. وانتم معنا ، لم تفارقنا لحظة
واحدة . . نظرين حواليك في براءة
اللائكة ونحن ندأبكم ، ونتناوب
حملكم .

اذكر اننا في اول ليلة قضيناها في
غرة ، بعد ان انتهكنا المسير ، ونسي
اعقاب سفر طويل واخذ منا التعب
كل مأخذ ، عدنا الى فندقنا ومعنا
ما نحمل من هدايا كثير من التفاح
الذي قل من يزود غرة ولا يتدوقه .
في تلك الليلة دأبناك بقطعة من
التفاح على نورك الجليل . . وكذا
نظير فراحا عندما اخرجت لساتك
الصغير لتلقين به التفاح بيميننا
وشمالا . فكان اول طعام تلوقينه
بعد لدي امك . كما اذكر ان حجرتنا

اغتراب

قدرا كان حملناه اتفاقا
وارتضيناه لقاء واغترابا
وارتحلنا
كلنا سار على درب وحيدا وبعبدا
يحتفي في حلم صيف كان يوما
وباطراف غد يبدو على الافق شراعا
بطا الأسماء همسا

لم تكن فرقة قصر
لم تكن لحظة فخر
كانت اللوحة وحيا عبقريا
لمسات تجمع الألفين
أبناء ونفسا ورويا
يسمع الكون على القرب
وفي البعد لقاء وارتحالا

الجناح القضي يقوى
وجناح الشوق يقوى
هكذا قلنا وكان القول لعنا
هكذا قلنا وكان القول بردا
وسلاما حين قلنا
ورحاب الكون كانت في يدينا
نحتويها

نحتوي كل صفاف الصخر
والنفسرة فيها
ونعط اليوم أو نعلو غدا
ان نحن رمنا
نذرع الأفق على موجة صبح
أو على متن نجوم
ان اردنا الأفق والكون مجالا

لم نشقى
لم يا اختاه نشقى
لم يا شق حياشي
يا حدود القيد ادميت جناحين ولكن

كيف اشكو
ورحيق الأرض
زاد ليس يفنى عنه طير
ورحيق الأرض
تحميه شبالك وشرالك
يا أديم الأرض ...
يا اما رعتنا
اودعنا سرها المجهول
بالطين وبالروح كيساننا وجناحا
يرتقي الأفق يوما
ويصود الطير للأرض ملاذا ومراحا
ليس للسر يمود الطائر الحائر لكن...
شربة الطين تناديه ..
فترتد ويبقى اليوم يا اختاه
ضوئا وظلالا

الغدا الحلو نقشاه سويا
وسعاف فيه أطراف شعاع
ونداء الروح
ينساب على متن اغتراب
وغمامات التياح
قدرا كان حملناه اتفاقا واقتدارا
وارتضيناه حياة ومسارا
وارتحلنا

كلنا سار على درب وحيدا وبعبدا
وقربا يلتقي الدربان
أو لا يلتقي الدربان ..
فالكون صغير وكبير
وأديم الأرض انشودة نور وتراب
ان رحلنا أو حللنا
جسد يصهره القيد وصمت
وجناح ترتقيه الروح اعصارا وشوفا
وجمالا

في الجهة الشمالية الغربية من القدس على يمين المسافر من القدس الى يافا بالسيارة ، ولكن بعد ١٩٤٨ هب اليهود يضايقون هذا المعهد مضايقة خانقة ابتداء حمل اربابه على يمينه كله جملة وتفصيلا ، ولما رأى ارباب المعهد ان لا حياة لهم مع الانكلي فاضطروا الى البيع وانتقلوا الى « خربة قنفر » في البقاع اللبنانية تاركين في فلسطين الانهم ومصانعهم والقالهم وما استطاعوا تشييده في قنفر قليل بالنسبة الى شتلر القدس . وقد اثبتنا بهذا كله عن معهد شتلر لنقول ان مشروع دار اليتام الاسلامي الصناعية في القدس ، اتما اتشبه للعلم والتهديب والصناعات على غرار شتلر .



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

بقلم عجاج نويهض

ومعنا ، اننا من الان فصاعدا ، نكلم « اهل » ما قام به تقليب فلسطين والمالين العربي والاسلامي الفتحاح محمد امين الحسيني رحمه الله ، من مشروعات كبيرة في فلسطين واهم ذلك كله مشروع عمارة المسجد الأقصى المبارك ، وقد ظل العمل به نحواً من سبع سنين آخرها ١٩٢٩ على ما سيأتي ايجاز وصفه . ولكننا نتناول الكلام على هذه المشروعات والمنجزات أولاً بأول حسب تواريفها ، ونبتدئ بمشروع « دار اليتام الاسلامي الصناعية » في القدس ، وهنا اول القافلة .

كانت فلسطين منذ القرن الماضي تحتوي على اكبر دار ايتام عرفتها البلاد ، هي دار ايتام الماتية تسمى باسم صاحبها « شتلر » التمشي لها ، واما الاسم الرسمي المسجل فهو « دار اليتام السورية » ، واتما اطلق عليها السورية ، اذ وقت انشائها كان اسم سوريا هو الاسم الاصح . وكان المؤسس السيد شتلر رجلاً اتساقياً فاضلاً ، مريباً خبيراً ، وجعل هذه الدار تحتوي على جملة صناعات ، منها الطباعة العربية والافرنجية ، والايتم يقبلون من جميع البلاد من فلسطين ولبنان وسوريا ، واشتهر هذا المشروع في فلسطين ولاسيما في خلال مدة ما بين الحربين ، وموقعه

علينا ألا ننسى ، ان الحاج محمد امين الحسيني اتما خلق لا للسياسة العربية الاسلامية ومناجزة الصهيونية فحسب ، بل كان من مواهب حب العمران والبناء والانشاء والترقية والتقدم ، فكان استعداده الان بعد ان صار مفتياً اكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، بات على موعده لينهض بمعب فلسطين خمس عشرة سنة ، نهوضاً يتخلله الثورات الصغيرة والكبيرة ، وهو كلما نقل الحمل على منكبيه ، ازداد هزماً ومضاء ، وقوة واتمناً ، ومقيدة وايتمناً . خلق الرجل ومعه رسالة . ما كاد « المجلس الاسلامي الاعلى » يباشر اعماله الواسعة ، بعد تسلمه ادارة المحاكم الشرعية والاقواف الاسلامية من الحكومة ، سنة ١٩٢٢ وجعل دواوينه ومكاتبه احدى تلك المباني الضخمة القائمة حول الحرم الشريف ، من الجهة الغربية والشمالية ، وفيه المباني شبه القلاع والحصون وبنيت في ايام دولتي المالكات حتى اخضع مشروعا لانشاء دار ايتام اسلامية في بيت المقدس . وكانت الحرب العالمية الاولى قد نهكت اهل فلسطين كما فلسطينت فسي لبنان وسوريا . فكثر اليتام في أنحاء فلسطين كثرة بارزة ، وكانت المسألة الاولى في التنفيذ وجود الدار المناسبة الكافية الوافية في مبانيها ، فاخترت السراي التي كان يشغلها « متصرف » القدس او الحاكم العثماني ، وهي راحة واسعة واطمة داخل الدينة مؤلفة من عدة مبسان وطبقات ، ولا تبعد من دواوين المجلس . ولم يكن المشروع باصل فكرته الا شاملاً اليتام واليتيمات . وشرع الفني يجمع هؤلاء الذين قال فيهم الله تعالى واوصى : « وبسألوكم عن اليتيم قل اصلاح لهم خير » ، « الم يجعلك يتيماً قارياً » ، « فاما اليتيم فلا تقهر » وقال عليه الصلاة والسلام : « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار باصبعه » . وكان الموكل اليهم بهذا العمل بطوفون البلاد ويستعينون بالحاكم الشرعية والاصدقاء ، لمعرفة مكان اليتيم ، وقد يكون من الصعب الوصول اليه ، لا هناك من احابيل . وكان كثير من اليتام في معهد شتلر الذي سبق الكلام عليه ، وفي معهد الساليزيان في بيت لحم . وطبعاً كان هناك في ارجاء فلسطين كثير من اليتام

المغربي « وأصله من تونس ، ومن سكان القدس في « حي المغاربة » ، وهذا الحي فيه زاوية « أبي مدين النوث » الشهير ، وسكان هذا الحي من اخواننا المغاربة ، ونقسم الرجال هم ، وهذا الحي هو في ظل الجدار الفرنسي للمسجد الأقصى المبارك ، حيث مكان « البراق الشريف » ، واليهود جعلوا هناك ما يسمى « بالمبكي » ، والمبكي هو المداميك السفلية من هذا الجدار الباقية من الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس (٤ قام - ٣٧ م) وقد دمر الصهابة هذا الحي كله وجعلوه ساحة ، دمر الله كيانهما عما قريب ان شاء الله .

ولم يرزق الحاج ادریس ولدا . ومن هو الحاج ادریس ؟ من عشاق الخير والإحسان ، الى مقبلة اسلامية وضاهة . فلما انتشنت دار الإيتام ، اقبل الحاج ادریس عليها بيدين سمحتين مليئتين بالخير والوجود والإحسان ، وتبني الدار لصنع البر ، وجعل كل يتيم ویتمة ابنا له وابنة . وفي الاعياد والمواسم خاصة ، كان رحمه الله ينصر « ابنائه » بكل ما يسرهم طعاما وشرابا ومحبة والذبة ، حتى شرب به القتل ، واني لا انساه في جميع مواقفه الخيرة الحسنة ، الى خلق رضي ، وامانة كائنات السلف في الصدر الاول . ولاروداته الحجة صار يسيل في خدمات الى جميع الناس ولا سيما الى الاهالي الذين لهم ابناء او اقرباء في المهجر ، فيأتونه كل يوم بالحوالات الواردة عليهم ، وهي بالشرائط فينتدعهم ، دون ان يتكلموا الى الذهاب الى البنك ، وهو يذهب بنفسه الى البنك ويذهب الحوالات جملة واحدة ، موقفة ، واي بنك في القدس يفرح بان يتعامل مع الحاج ادریس . وكان المعنى الحاج امين ثقة كبيرة به ومعهذ اليه في قضاء امور مهمة وطنية . الحاج ادریس صبيح الوجه المشرب بالحمة « يعتمر الطربوش « لياحه الفتيان النظيف والسترة الوداء الى فوق الركبتين . فلذا رايت في القدس كل صباح زرافات من الناس ، وخاصة من أهل القرى ، ماشين في تلك الطريق او ذلك السوق ، فاعلم انهم قاصدون الحاج ادریس رحمه الله وجراه من يره واحسانه خيرا . اسما وطنيته فقد كانت شملة . وكانت منزلته عند الحاج امين عليه جدا ، وهو كان من المؤسرين . توفي ١٩٢٨ رحمه الله ، والنقطة الثانية هي ما ينطق بالدين تولوا ادارة الدار والذين قضوا فيها سنوات وهم ماثقون طس واجاباتهم من مدير واساتذة ومعلمين . فقد كان مدير الدار الاول الاستاذ عارف البديري رحمه الله ، وهو بالاصل من سلك رجال التعليم والتهديب . فبقي جملة السنين الاولى ، وجاه بعده الاستاذ الدادري الخير جميل وهي ، رحمه الله « فبقي فيها اكثر من ثلث قرن ، حتى تمتشق هذه الدار تمسقا والتحم بها التحاما غربيا . وفي عهده دخل ايتام الدار ، وهم صغار قتلوا الصنائع وخرجوا الى العالم وجاروا من آباءه ومن رجال الاعمال والاقتصاد في فلسطين ،

الذين وجد لهم معين من اقربائهم يكفلونهم واسا الايتام الذين نمنعهم هنا فهم المنقطفون من كل قريب او معين . وكانت « دار الايتام الاسلامية الصناعية » هذه ، من غايتها التي رمى اليها الحاج امين ان تجمع بين التعليم والتهديب وبين اكتساب الصنائع . فلما الايتام فتمتس نخرجوا بشهادات كاملة ، تخرجوا وهم اهل ليعملوا في البلاد كل حسب مهنته وصنافته . واما اليتيمات فبعد اكمال تحصيلهن العلمي ، وعلى الغالب يتعلمن فنسرون الخياطة ، فيخرجن الى عالم الحياة فتيات راقيات يرزقن من الازواج من هن لهم اهل وتنشأ الاسر الفاضلة على هذا الفرار . فاسست في دار الايتام الصنائع التالية :

ـ دار طباعة عربية كاملة
ـ ومن الصنائع التجارة والخياطة (غير الخياطة المتعلقة بالسيديات) وصناعة القش والكراسي الخيزران ، ومن اخرى عديدة .
ـ فن التطريز وغيره من الاشغال اليدوية .

وفي وقت قليل ملئت دار الايتام بكل هذه الاعمال فكتت اذا دخلتها وجدت نفسك في مصنع عصري (١) ، ومعهذ علمي . فكان هذا المشروع اول مشروع رائسه فلسطين من الحاج امين ومجلسه الاسلامي الاعلى ، تاهيا مزدهرا يعطي صورة حديثة من اتيان الواجبات الاجتماعية وكان المجلس الاسلامي يقوم بموازنة الدار ماليا مسن الاوقاف ، وتتفق واردات الصنائع على التجديد والتنمية . وكانت تقام في ساحة دار الايتام العضلات والاجتماعات ايام المواسم والاعياد . وككل الحاج امين لا يتقطع من زيارتها وتفقدوا بلبل كل وسيلة لجعل طلائها دائمة السير بلا توقف . ومن كبار شعراء العرب اللذين وقفوا على منبرها وشنفوا الاذان بقصائد وطنية مرتفعة شاعر الشام الاكبر الاستاذ خير الدين الزركلي ، امتع الله العرب بانفاسه الطيبة ، والشاعر القومي الاجتماعي معروف الرصافي ، طبيب الله ثراء وغيرهما كثيرون من شعراء البلاد العربية .

والى ان قام المجلس الاسلامي بعد عدة سنين ، بتوسعة مباني « كلية روضة المعارف الوطنية » بالقدس توسعة كبيرة اشتملت على قاعات عصرية ومحية ، كانت الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية تعقد في ساحة دار الايتام .

وهنا لا بد لنا من الإشارة الى نقطتين وفاء لحق تاريخ هذه الدار : الاولى ان كان في القدس « الحاج ادریس

(١) في سنة ١٩٢٢ زار الدار شاعر الشام الاستاذ خير الدين الزركلي لافقي في اجتماع وطني حافل في الدار قصيدة قومية منبهة ، كلها حكمة ونور فشرها دار الايتام في بيتها للصورة سنة ١٩٥٥ وفي سنة ١٩٢٧ زار الاستاذ الزركلي الدار ثانية فكتب في سجل الزائرين : لم يشرع صدي عمل وطني مشر كما شرعه هذا « العمل » النافع . خير الدين الزركلي .

العملي ، عالم التجارة والصناعة والاقتصاد ، في فلسطين ، لمدة ٣٣ سنة من ١٩٢٢ - ١٩٥٥ ، يزيد على ألف خريج بشهادة المعهد في دليله . فكان معدل ما يخرج كل سنة أكثر من ٣٠ خريجاً ، والسنوات الأولى غير محسوبة لها تخرج لأنها دراسة عملية حتى الوصول إلى الشهادة . وإذا حسبتنا أنه في خلال العشرين سنة المطردة من ١٩٥٥ - ١٩٧٥ تخرج خمس مئة شاب لا أكثر ، فالجموع إلى اليوم من سنة ١٩٢٢ ألف وخمسمائة يتيم وبتيمة كانوا في دروب الشقاء في هذه الحياة فيمت الله إليهم رسالة الحاج أمين الحسيني ، فانتقلوا إلى ما هم عليه الآن أسرا فاضلة في بيوت مباركة ، تحت سقف تشع فيها الفضيلة ، وإلى مناصر تعمل في التجارة والاقتصاد ولاسيما الصناعة . وكما ينطبق هذا على الشباب الرجال الإباء ، كذلك ينطبق على الفتيات النساء الأمهات . فما أعظم هذه البركات وأجزل هذه الخيرات بفضل الباني المنشئ المؤمن الحاج أمين الحسيني وهو من الكرمين في أهل عليين .

لثانياً - ويؤتي أن الذكر أن الموازنة المالية للصدار هبطت بعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ إلى ما فوق الأربعة عشر ألف دينار بقليل ، إذ معظم الأوقاف الإسلامية الواقعة في الأرض المحتلة . ولهذا السبب تنتظر دار الأيتام الإسلامية في القدس ، من الملوك والرؤساء والأمراء ، ومن أهل الزيت خاصة ، ومن أمثال محي الدين الحسيني والحاج إدريس المغربي ، أن يذكروا قوله تعالى « ألم يجعلك تيماً فأوى » .

لثالثاً - ومن محاسن دار الأيتام اعتصامها بالتراث والمروية والإسلام ، فتجد الخريجين والخريجات على أرقى ما يمكن من الأخلاق الفاضلة والوطنية الحقة الصادقة . وهناك « الكشافة » تسن مسنناً كلها استمرار بالتراث وليس في فرقة « الكشافة » في دار الأيتام الإسلامية تشبه بالأجنبي ، شكلاً أو روحاً ، بل كل ما في هذا الكشف لباب ، ومحض خير .

والى جانب « الكشافة » ، فرقة الموسيقى الزاهية الزاهرة المزدهرة ، طلت في فنها علواً كبيراً ، ومن يسمع عرفها ولا يخال أنه يسمع أرتي جوقات في أرقى بلاد . ولو نطق الحجارة ، ويتكلم الجداد في بيت المقدس ، لسمعتنا من هذه الفرقة الموسيقية العاتاة روحية نقابها أرواحنا بالهاتف : ما هذا المصحف الكريم التلاوي ، طبيعته وأخرجته دار الأيتام الإسلامية في أولى القبلتين وثالث الحرمين طباعة أنقى ما يكون ، سنة ١٣٧٤ - ١٩٥٤ وهذا

والى جانب « الكشافة » ، فرقة الموسيقى الزاهية الزاهرة المزدهرة ، طلت في فنها علواً كبيراً ، ومن يسمع عرفها ولا يخال أنه يسمع أرتي جوقات في أرقى بلاد . ولو نطق الحجارة ، ويتكلم الجداد في بيت المقدس ، لسمعتنا من هذه الفرقة الموسيقية العاتاة روحية نقابها أرواحنا بالهاتف : ما هذا المصحف الكريم التلاوي ، طبيعته وأخرجته دار الأيتام الإسلامية في أولى القبلتين وثالث الحرمين طباعة أنقى ما يكون ، سنة ١٣٧٤ - ١٩٥٤ وهذا

(٢) مكنت في القدس ما يفرح من ٣٠ سنة فما رايت التين من الناس يستحقان أن يكونا قدوة لامة في البر والإحسان مثل محي الدين الحسيني والحاج إدريس .

(٣) لا جمل أحمد علي باشا مدير بنك الامة ، رحمه الله ، يشرف من ١٩٢٨ فصاعداً على المؤسسات الوطنية في القدس وغيرها ، اتشأ في رام الله معهما لإنشاء الشهداء معاه « معهد أبناء الامة كإلواراد الانجاز بهذه التسمية .

وعنصرنا يعتد به من هذه الناحية . وكانت وفاة أبي هشام جميل وهبه منذ عدة سنين ، وآخر عهدي به في القدس وبتردد على عمان لقضاء مصالح الدار ومراجعات الدوائر الرسمية . ولدي عدة « البومات » فيها مجموعات من الصور والرسوم التذكارية على عمر الإلواراد ، تمثل ذكريات هذا المعهد .

وعلى أن أبين أن هذه الدار لما صارت فلسطين تقدم الأبطال الشهداء في الثورات والمقاومات ، جعلت تتبنى أيتامهم وتكفل لهم الميمنة الحسنة والتربية الصحيحة . بل اعتادت الدار هذه السنة الحسنة من وقت الثورة السورية (١٩٢٥) لقائدها العام سلطان باشا الأطرش وصحبه ، فقد كان في الدار أكثر من يتيم أبوه شهيد وهؤلاء من ألين العزيرة . وسعيد البهاني من شهداء الثورة السورية وكان له ولد فتيته دار الأيتام .

ومن الذين زاروا الدار وخطبوا فيها ، وطافوا في أقسامها ، إلى سنة ١٩٥٦ ، العلامة الخطيب المصلح الدكتور أحمد الشرباصي (القاهرة) في وفد المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس ١٩٥٣ والشيخ مصطفى الفلايني رئيس المجلس الإسلامي وتقيب الأشراف في بيسروت ، والركن من أركان القضية العربية (١٩٤٣) والاستاذ محمد عوض والاستاذ عبد الوهاب عزام ، والسيد عبد الحكيم عابدين ، والاستاذ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصرية ، ومن أكابر مناصري الدار السيد عبد الحميد شومان والسيد محمد علي بدير ، والسيد إبراهيم مكو ، والشيخ محمد صدقة المنصوري فنضال الملكة المغربية السعودية في القدس والسيد راسم الجالدي والسيد الحسن في بيت المقدس محي الدين الحسيني (٢) والحاج عبد القادر عمر سلامة من تونس والحاج إبراهيم سالم سلامة من تونس أيضاً والسيد جودة شعشاعة والحاج معروز المصري (عمان ونابلس) والسيد مصطفى أحمد أبو زيد الشهير بمراته الإنسانية والوطنية ، والسيد أمين شاهين ، إلى عشرات الشركات الوطنية والمؤسسات وكل هذا أخذنا بعضه من (اليوم ١٩٥٦) وما يسر أن السيدة الفاضلة أم درويش حرم السيد مصطفى حسن في عمان برزت بروزاً واضحاً في إسداء البر إلى الدار ، ومن هؤلاء السادة الأفاضل السيد رضا القدومي ، أكثر الله من أمثالهم .

وظهرت الحاجة بعد قليل إلى مد يد العون السي المكفوفين ، والإعنى أخو البصير ، فافتتحت الدار قسماً لهؤلاء الإخوان ، يتعلمون من الصناعات اليدوية ما يمكنهم من اكتساب العيش بكرامة ، كصناعة القش والكراسي الخيزران وما أشبه (٣) .

ولنا في نهاية الكلام على معهد دار الأيتام الإسلامية في القدس الملاحظات التالية :

أولاً : أن عدد الخريجين من هذه الدار إلى العالم

اليوم أربعة أبواب كلها عبر السور وهذه الأبواب هي باب الخليل (أي الباب الذي في اتجاه الخليل ، وباب الصمود وباب ستنا مريم والباب الجديد .

وقد وضعت كتب عديدة في القدس وأولى القلعتين وثالث الحرمين ، (المسجد الأقصى والصخرة) تُولف مكتبة براسها على اختلاف المصور حتى اليوم وليس هذا في العربية وحدها بل أيضا باللغات الأجنبية العديدة . وبعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وضع كتاب من العرب رسائل جمّة ، وكتبا لا تعد . في القدس والحرم ، وكل هذا ينطوي على أبحاث قيمة .

الخليفة الأموي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الأول ، وهو الخامس من خلفاء بني أمية ، ومدته مشيرون (٤) سنة على الحساب الغربي (٦٧٥ - ٧٠٧) هو الذي قام ببناء هذه الصفحة المشعة ، وبعد فراغه من هذا يقال انه ابتداء بانشاء المسجد الأقصى فتوفاه الله فأكمل الانشاء والبناء ابنه الوليد بن عبد الملك ، وشرع في السنة ٦٦ هـ وانتهى سنة ٧٢ هـ على اصح الأقوال . ولكي يامن عبد الملك كفاية المال ، فقد ارصد خراج مصر لسبع سنوات ، ومصر وقتها الفرع الدار في المملكة الاسلامية . واختلا عبد الملك اثنين من اكمل الرجال مروءة ، وبعد همة ، وطهارة ثمة : جاءه بن حيوة الكندي ، وجاءه في الطبري ان اصابه من بيسان ، وهو من العلماء المصورين حياة بفتح الحاء وسكون الياء) ويريد بن سلام وهو من أبناء بيت المقدس ، والاثنان فلقنا حبة واحدة في كرم الخليل . وقال المؤرخون الثقات انه بعد اتمام العمل في قبة الصخرة ، فضل مبلغ مئة ألف دينار ، فجعلها عبد الملك جائزة لهما ، اتصور بماذا احباها الخليفة على هذا ؟ قال لا : نحن يا أمير المؤمنين اولي ان نزيد هذا البناء من حلي نساننا فضلا من اموالنا ، فاصرفها في احب الأشياء اليك . فامر بان تسبك هذه الدنانير وتفرغ على القبة والأبواب ، واعد غطاء من لبود توضع فوقها حتى اذا جاء الشتاء كان هذا وقاء من الرياح والعواصف والامطار . والوليد بن عبد الملك هو باني الجامع الأموي في دمشق وغيره .

قبة الصخرة المشرفة آية في الفن حتى هذه الساعة وإلى يوم الدين وقيام الساعة . وهي كما سبق في هذه الكلمة ، مشعنة الشكل ، والبدائع المترفة بالنيغاساء والكتابات الكوفية من عهد عبد الملك بن مروان فصاعدا تأخذ العقل ، لا يدخلها احد ، مسلما ام غير مسلم الا ويقف حائرا دهشا ويمتدح تجلتي البواهر كانها يواقيت وجواهر .

وبالطبع تعرض الحرم القدسي الشريف لكثير من الزلازل في مدة أكثر من ١٤ قرنا ، فكانت الدول الاسلامية خلفاء وملوكا وسلاطين ، تبادر الى اصلاح الخلل ، من عباسيين وفاطميين ، وصلاح الدين الأيوبي الذي بعد

لأول مرة في عصر الطباعة الحديثة ، فلتنهنا بيت المقدس بمصحفها ودار إيتامها ، وذكرى منشئ هذا السدار ، المجاهد الطاهر ، الصامد ، أبو صلاح الدين الحاج أسير الثاوي في مقبرة الشهداء في بيروت ، وكأنه في فلسطين ، وهو أعلى الله مقامه في أعلى عليين ، من الخالدين .

عمارة المسجد الأقصى المبارك : الحرم القدسي الشريف هو الزاوية الجنوبية من بيت المقدس ، ومساخته مائتان وستون دونما وكسور ، وبيت المقدس من حيث تكوين أرضها بين حلو وانخفاض فتلو أرضها في قسمها الغربي وانحدارها يأخذ الى الشرق ، والحرم هو فسي القسم الذي ينتهي عنده هذا الانحدار وتغني بالقدس المدينة التي داخل السور وهذا السور رصمه وهدده بنو عثمان في القرن السادس عشر على عهد سليمان القانوني . والجهة الجنوبية والشرقية من السور تحتها وادي قرية سلوان ، فالسور هنا في هذه الجهة كانه مسور الحرم . وهذه المساحة يطلق عليها اسم الحرم الشريف ، وهي تقريبا خمس المدينة التي داخل السور وعلى هذا تكون مساحة مدينة القدس كلها داخل السور ١٢٠ دونم . ومساحة هذا الحرم ، أي ٢٦٠ دونما ، تعتبر حرما كلها ، وفي هذه المساحة يقع المسجد الأقصى بطوله وعرضه منتهيا بان يكون جداره الجنوبي امتدادا للسور في القلعة . ولا اعتد ان بشرى على وجه الأرض لم يسع بعد آيات الله تعالى : « سبحانه الذي أسرى صبيها لولا مع المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بولت حوله قرية من آياتنا انه هو السميع البصير » . والمسجد الأقصى المشرفة ، وهي قبة عظيمة مشعنة الشكل لا مربعة ، تقع في ساحة الحرم ، لا تنتهي بالسور كما هي الحال في المسجد الأقصى . وإذا كان الواحد منا في الحرم ويريد الذهاب الى جهة باب الخليل العليا ، وهناك أعلى حلو في تكون القدس ، فيقول اني صاعد في باب الخليل ، مخترقا الطريق الداخلية في الاسواق . وإذا كان الواحد منا في باب الخليل ويريد الهبوط الى الحرم الشريف مخترقا نفس الطريق فيقول اني نازل الى الحرم .

والى مدة قرن قبل تاريخنا هذا اليوم كانت القدس عند غروب الشمس تقفل أبوابها الكبرى وهي لثلاثة أو أربعة وإلى الصباح فلا يدخل احد ولا يخرج فإذا جاء أي كان ووصل الى أحد الأبواب المخلقة فله ان ينام موضعه عند الباب المغلقل او عند السور .

وبعد ابتداء الربع الأخير من القرن الماضي ، أخذت القدس تنمو خارج السور الى جهة الشمال والغرب وبعض الجنوب ، بحيث امتدت مساحة القدس القديمة داخل السور والجديدة خارج السور مساحة كبيرة تشغل عشرات الكيلومترات المربعة .

وهذا العمران الذي بدأ منذ قرن خارج السور بعضه للعرب ، وبعضه لليهود وبعض ثالث للإجانب . وللقدس

بـ وياشر كمال بك اعماله . وشرع الحاج امين يرسل الوفود الى ارجاء العالم الاسلامي : الى الحجاز ، والعراق ، ومصر ، والهند ، والبحرين ، والكويت ، والحميرة ، وسوريا والمهجر (٥) . فجمعت هذه الوفود الى سنة ١٩٢٤ ثمانية وسبعين الف دينار . يضاف الى هذا ما تمسسى المجلس الاسلامي الاعلى من رصده من واردات اوقاف فلسطين وهو ستة عشر الف دينار ، وجملة هذا كله في حدود الخمسة والعشرين الف دينار . اما ما بعد سنة ١٩٢٤ فليس لدينا ارقام ما دخل على المشروع من تبرعات وقت نشأته كتبت هذا في لبنان ١٩٧٥ ولكن معاً يكن من امر من جهة تبرعات ما بعد ١٩٢٤ فانها قليلة .

ومن الجدير بالذكر ، ان الملك حسين بن علي رحمه الله وهو وقتئذ ملك الحجاز تبرع من ماله الخاص بخمسة وعشرين الف دينار نقلاً برسول من قبله الى القدس ، وفي القدس ايدت بالعملة الرسمية في فلسطين . وذهب وفدان الى الحجاز الاول سنة ١٩٢٢ فكان تبرع الملك حسين ، والوفد الثاني سنة ١٩٢٤ السنة التالية فجمع الوفد من تبرعات اخواننا اهل الحجاز اكثر من ١٢ الف دينار فيكون مجموع ما تبرع به الملك حسين وشعبه نحواً ٣٩ الف وما قدم المجلس الاسلامي الاعلى من اوقاف فلسطين وهو ١٦ الف وبيض الكسور ، اكثر من ٥٤ الف والباقي من البلدان المختلفة ، جرى الله الجميع خيراً .

اما استمرار عمل الهيئة الهندسية فقد امتد الى ما يقرب من سنة ١٩٢٩ وفي هذه السنة ، وبعد اكتمال المشروع ، اقام المجلس الاسلامي الاعلى الحاج امين في مكاناً عظيماً اجتفاه بنجاح المشروع ، وشاركت في هذا المهرجان وفود مرموقة من مصر والعراق وسوريا والاردن وغير انظار ، فكان المهرجان لانفاً كل الليافسة بالقداسة التي ينعم بها المسجد الاقصى والحرم القدسي الشريف ، واستمر المهرجان اسبوعاً .

وكانت خلاصة المشروع تطبيقاً وتنفيذاً ، مما هو مجلى بمقربة المهندس « كمال بك » ان الركائز والاعمدة التي تقوم عليها القبة سحبت حجراً حجراً وابدلت بسواها من جديد دون ان تتأثر القبة نفسها بشيء . وقد تم هذا وكان المندوب السامي هيرت سمونيل الصهيوني المتليس جلد ملب ثارة وجلد ذئب طورا ، ومذمته من ١٩٢٠ - ١٩٢٥ كما ذكرنا هذا في الكلمتين السابقتين . قد جرى بين الحاج امين وهذه المندوب السامي الصهيوني امور ، وهما الآن لا بأس من ذكر واحدة تدل على خبثه

(٤) هذه اطول مدة لظيفة اموي من ١٢ خليفة .

(٥) مجموع هذه الوفود ستة في خلال ٣ سنوات وكان الحاج امين على راس وفدتين : وفد مصر وفد العراق والفيلج العربي .

(٦) من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٤٨ قام بوظيفة ترجمان الحكومة الثمان : الاستاذ وديع شفتري ، والاستاذ ابراهيم كيميبي من رام الله . وكان كاتب هذه السطور مترجم سماعة الكندي من سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ .

الفتح الصلاحي واخراج الصليبيين ، رد كل شيء الى حاله السابق وزاده ابداماً ، ولما جاءوا الى تجديد المنبر في المسجد الاقصى قبل صلاح الدين ، تور الله وجهه ، ان نور الدين محمود بن زكي ، المجاهد الطليعي الاكبر ، قد صنع في حلب منبراً عجيباً من خشب الابنوس الطعم ليكون في بيت المقدس ، فاتي به صلاح الدين ونصبه في المسجد الاقصى وقامت دولتنا الممالك بدورها باصلاحات كثيرة في الحرم القدسي ، وخاصة اكثرنا من انتشاء المباني حول الحرم من الجنتين الغربية والشمالية ، واما سلاطين آل عثمان فما اتوه من ترميم فشيء محدود ، حتى جاء الزمن الحديث والحرب العالمية الاولى لم ما سبق لنا بيانه من انتشاء المجلس الاسلامي الاعلى برئاسة سماعة الحاج محمد امين الحسيني سنة ١٩٢٢ وبعد تقديم هذه الاوصاف العامة الى القاريء الكريم من الحرم الشريف ندخل في مشروع عمارة الاقصى .

ان الاسباب التي افضت بالمسجد الاقصى المبارك الى طرح قضيته من جهة حاجته الماسة ، الى تدارك ما هراه من وهن ، هي طبيعية من فعل الزمن ولا حاجة بنا هنا الى التفصيل . ولكن هذا لا يفتينا من القول المجمل السدي فيغدنا لياب المسألة : ان قبة المسجد الكبرى اصبحت مرتكزة على اعمدة وركائز تطرق اليها في المواطن الخشبية التآكل والتخر ، فالي ذلك في المجموعة الكلية وفي سلامة الاقواس التي تحمل القبة ، وبلغ الانحراف في جملة مواضع ، عن مواقع الصحة ، لا اقل من ١٢ سنتيمتراً وهذا يعتبر خطراً وله تلره ، ونحن نرى ان يتصور ان نتكلم تكلم المهندسين ارباب التخصص الدقيق في الفن الهندسي المعماري ، وحسبنا هذا لجمال ذهن القاريء يتصور الشيء على جمته .

ولعل المشروع نوجزه بفترات كل فقرة ذات خصوصي :

بـ وثب الحاج امين الى اصلاح ما تقدم في المسجد الاقصى ، وهذا لا يتم الا على يد مشروع شخم يقوم على شقين : الاول هو المال ، والاوقاف التي يبحر مجلسي وارادها المجلس اعتباراً من هذه السنة ١٩٢٢ لا تستطيع ان ترصد لمشروع عمارة الاقصى غير شيء قليل ، اذ وجوه اتفاق وارادات الاوقاف مقيدة بشروط الرافقين . والثق الثاني اعداد الهيئة الهندسية العالية المستوى لتحقيق المشروع بالتنفيذ . اما الثق الاول فقد ارساه الحاج امين على ان يستندي اكف العالم الاسلامي لهذا المشروع العزيز على كل مسلم على وجه الارض . واما الهيئة الهندسية فقد اختار لها باعثة الهندسة الاسلامية في العالم وهو المهندس « كمال بك » من اخواننا الاثراك وفي اعوانه وكان في فلسطين رهنك كبير من المهندسين المتكبر ذوي الاختصاص ، واعهم ما راوه من مقبرية المهندس كمال بك .

خصائص شعرية

لا تلمه اذا تعالى على الناس
وانزى - في جهه - بالعقول
حرمته الحياة فكر ا سنيا
فتباهي يساعد مفتسول
ليس تجديك عقلة تخرق الليل
اذا كنت ذا فؤاد كليسل
يطرب الذئب للعواء وتطو
ترهات الثقيل عند الثقيل
ان بعض الوري دواوين شعر
ليس فيها سوى لثلاف جميل

يا رفاق الطريق لا مدح ارجو
كل ما ارجيه ان تصفوني
ان اكن صالحا فلا ترجموني
او اكن طالحا فلا ترجموني
ما تكسبت بالقربى فاني
اكره الشعر الاله للعجون
كل بيت سلته من ضميري
كل حرف كتبه بضموني
ان شعري مرآة نفسي فان لم
ندركوا غوره فلن تعرفوني

في الفصل

يوانس ايرس

شاه الله . واما عمارة الحرم في المسجد الأقصى فقد كان من نتائجها ما اعتقد ان يوسفي ايجازه هكذا :

- نشرت شخصية الحاج امين في خارج فلسطين ، نشرها واسعا ، وهذا العمل مع مشروع دار اليتام الاسلامية وضما في موضع الباني المصلح في فلسطين ، الى جانب هيئته الفعلية على الحركة الوطنية .

- انشاء العلاقات بين فلسطين والهند لخدمة القضية الفلسطينية ، بواسطة زعماء مسلمي الهند وعلى رأسهم اخوان علي (شوكت علي ومحمد علي وشعيب قرشي) ، وهذا المشروع في عمارة الأقصى ازداد اهل فلسطين مسلمين ومسيحيين امتزجا بماكنهم المقدسة التي يطمح فيها اليهود . وفي اواخر الحرب الثانية اجريت في الحرم الشريف وفي المسجد الأقصى اصلاحات محدودة ، وكان الحاج امين في أوروبا . تقف الآن عند هذا ومومندنا في الكلمة التالية ان شاه الله .

عجاج نوبض

واسي التت - لينان

ومكره في باطنه ، واجراء الصل على لسانه في ظاهره ، تذكر هذا في هذا الموطن ، ونحن في الحديث عن عمارة المسجد الأقصى قبل انتهاء هذا الفصل :

قبل ان يرسل التدوب السامي من فلسطين ١٩٢٥ لانتهاه مدته ، رجا من ساحة رئيس المجلس ان يزور الحرم الشريف ليشاهد منجزات العمارة التي سارت باخبارها الركبان . فلبى الحاج امين هذا الرجا . وكانت العمادة في القابلات الرسمية بين المفتي والحكومة ، انه اذا كانت الحكومة هي طالبة الاجتماع ، فالترجم بين المفتي والحكومة مترجم الحكومة الرسمي ، واذا كان مساحته طالبا الاجتماع فالترجم يرافق المفتي الى الاجتماع للترجمة . فلما عين الموعد لحيء التدوب السامي ليزور الحرم ، استقبله رئيس المجلس عند درج المجلس ، ودرج المجلس ازاده بوابة كبرى منها للدخول الى ساحة الحرم . فبقى حرس التدوب السامي عند الدرج ، ودخل مسع المفتي الى ساحة الحرم يصحبه مرافق واحد ، والمترجم الاستاذ وديع شغري (٦) من بيروت ، ولما توجهوا نحو المسجد الأقصى كان الوقت قبيل الظهر ، والشمس تدخل المسجد من مشرات النواغل والشبابيك فتلاءه روعة ، والقبلة لتلمع وهي على الأرض ، التمام الزهرة التي في السماء . وكنت امشي معهما بطريقة استطيع بها الترجمة وبقي الاستاذ شغري بعيدا ، ولما اتى مع التدوب السامي من قبيل الاحتياط .

فلما وقفا تحت القبلة : وجعل صموئيل يقب ينظره مختلف المشاهد الجديدة ، وهي مبهشة حقاً لا يبد ان يكون قد جال في تفكيره في تلك التواني والدقائق ، ان هنا كان هيكل سليمان وقصره . وسبق لصموئيل مثل هذا الشعور مع الحاج امين في مقام « النبي شحول » الذي هو على جبل عال شمال القدس يبيع كيلومترات ، ممسا سندركه في مناسبة اخرى ان شاء الله .

واخذ صموئيل يورد على المفتي تحت القبلة اسئلة مختلفة تتعلق بمشروع العمارة ، وهو يسأل هذا ويجزل الثناء على المفتي حتى سال بالنالي : ومن يا صاحب الساحة ، آخر خليفة من خلفاء المسلمين قام بعمارة في الحرم ؟ وكان المفتي رحمه الله طليما بكل شيء يتعلق بالحرم وغيره ، فاجابه ان آخر ملك قام بهذا سلطان الماليك وهو قانصوه الغوري ، في آخر القرن الخامس عشر . فقال صموئيل وليس بينه وبين المفتي احد سواي اقف توها ما جابا : « اني يا صاحب الساحة ، اكبر كل الاكابر قيامكم بهذا المشروع الخطير الدقيق ، فضايتهم بهمتكم هذه هم الخلفاء والولاك المسلمين » . وطبعا شكره المفتي على هذه العبارة ، وهو يعلم الخبيثة وراءها كل العلم ، واجابه ان الفضل في هذا فضل المتبرعين بالمال وفضل القسن الهندسي الذي يمثله المهندس كمال بك .

اود ان اطم القارئ الكريم ان لصموئيل هذا مواقف مع المفتي حرية بان تذكر ، ولا يصح ان اذكرها متفرقة ، ففي المناسبة التالية بمد هذه الكلمة ، احاول ايرادها ان

ام كلثوم في بغداد

بقلم الدكتور محسن جمال الدين



صغيراً يومذاك ، وكان لي ولع بزيارة بيت المرحوم خالي لمجاورته لدارنا ، وهو رحمة الله عليه . كان من أوائل من أدخل الحاكبي إلى داره . لا يتمتع به من مال ، وتجارة ، ورفاهية . وقد حرمتنا نحن الصغار في دار والدنا مسن سماع ما يشبه الحاكبي من الأغاني . لأن طابع بيتنا يختلف عن غيره ، لما فيه من سمات الدين ، ومظاهر التقشف ، وعدم التراء . مع حب والدي - طيب الله لراه - للصوت الجميل ، وتقديره للفن وأصحابه .

وكنت أسمع الأسطوانات الصغيرة ، التي يرسلها ذلك الجهاز ، وهو يردد أغاني عبد الوهاب والقبايجي وأم كلثوم ، ومن بينها أسطوانتها القديمة : « إن خالي في هواها حبيب » « أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه » « وحقك أنت التي والطرب » . ولما كبرت بي الدنيا ، وكبرت بها ، وأمازت روحي على أجواء جديدة من الحياة . وأنا بين مهاجر ومقيم . لم انفصل عن أغاني أم كلثوم ، ولم أخرج سماع غنائها الجميل . وبالأخص بعد أن جهادت أفواج الأغاني الضعيفة ، وطغت بتيل أمواجها . وظهورت طبقات مختلفة من محترفي الفن ، ومن مصنفيه . وظللت التعرف إلى ذوقي الفني ، هل أصابه الفتور بحب غناء مطربة الشرق العربي أم كلثوم أم تغير هواه عنها . ؟ . وكنت في الواقع أرى أن الحياة الفنية تبدلت وأصابتها التطور السريع ، وهرمت من المهارة والإناء . واخذت اتقرب سماع ما لديها من قصائد شعرية جديدة . من روائع :

سوقي ، حافظ إبراهيم ، أحمد رامي ، أحمد باكثير ، جورج جرداق ، عمر الخيام . ومختلف المقطوعات التي نظمها القدماء من كبار شعراء العصور المريسة الزاهرة .

وعندما صدرت مجلة « الصيد » في سنواتها الأولى أجرت استفتاء لقرائها ، وجعلت المناظرة بين أم كلثوم وأسماهان . وكتبت يومذاك مفضلاً أم كلثوم ولست ناكراً جمال صوت أسماهان ورنه صوتهما الحزين .

قلت : أن أم كلثوم تطربنا إذا غنت . . وتشجينا إذا أنت .

ان أم كلثوم غنت لشعراء مصر ، والسودان ، ولبنان والسعودية ، وحضرموت ، وليبيا . ولكنها مع

الأسف لم تغن لشعراء من العراق . لأسباب كان يظلم عليها طابع السياسة الحطية ، والتصرف الشخصي . مع العلم أن العراقيين من أكثر الشعوب العربية بعد مصر ، ولبنان تقديراً لأم كلثوم . والأشادة بفنهما على مختلف الطبقات الشعبية . وعندما يسجل الباحث والدارس الشعر العربي المعاصر والقرنيتين عليه ، يجد أن أكثر الشعراء تكريماً لأم كلثوم إنما هم العراقيون ، واليهك الدليل :

ففي أول زيارتها للعراق سنة ١٩٣٢ تبارى الشعراء الكبار في تكريمها ، وتصوير أعجابهم بفنهما . ولست الآن في معرض جمع ما نشر في الصحف والمجلات العراقية عنها في خلال تلك الزيارة ، ولكنني سأعود إليه يوماً بدراسة خاصة . غير أنني الآن استعرض ثلاثة كبار منهم .

أولهم : الشاعر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي وقد أورد لنا الباحث الفاضل الشيخ الأستاذ عبد الرزاق الهلالي بدراسته عنه قصيدته الرائعة عن أم كلثوم . ويغلب عليها طابع الإعجاب الفني والروح (الوفدي) السياسي . ومنها هذه المقتطفات الرائعة :

تقصيت السي الجوى ولقيت دالم الخلق
فابصرته فسي السربوشا صمكت فسي اللق
فمن سواد كالطير فممن انت مسن الخلق
ام ممن مسائلة البليلام ممن مجمع السورق

هتينا لك بلبلاد هيلدي (أم كلثوم)
من اليلد الاماريسيب اتينا لا من السورم
لكم هيت ليليك بتفريد ورتينيم
فلورا فرحة النفس اذا قصر كرميس

إذا غنيت في العصب نفسي باسم من اهوى
وان لسج بك الشوق فتيحه مع النجوم
فما شكواك ليليل ابعفي الليلى للشكوى
لانت مسكوة النفس وما اطي من السوى
كما ان له قصيدة اخرى يخاطب بها المرحوم الدكتور الأستاذ زكي مبارك ويشير فيها إلى أم كلثوم بقوله :

صريح الفتوى لا طغني فطغني صريح الماني (أم كلثوم) لا دند
سلام على تلك الاطريد اتها الاطريد من وهي الصبابة والود
لما يتاهم : فهو الشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، وقد جعل من قصيدته مناجاة لغنها بين الجن والانس ، وبين الآلام والشجون ، والسياسة والشؤون وقال منها :

الن روى الريق غير مسطور وانت بليله يا (أم كلثوم)
لانت المدم من فني بغالية لعنا يرجسه من بعد غريم
اتسالحا التفتنا فيه مقفسي قلمنا اتا شيخ غير مصوم
لا نزع الاكاب المظلام من كلي فلان تصل سهامي غير مصوم
اومي (الفخراف) اصواتا شوتها وسار بفرف القريه بالقمم
لمت شمل الاثني بعد نقرقة لها فلم يبق شمل غير طوموم

لا يبلغ الرد من لثاته وطسرا حتى يتبع منه السمع والبصر
المرح بغنياء واتبع من مشاهدتها فبعدها لا ترى شمسا ولا اقرا

زهرة

حاضره مات بلاكن
اجفانه تحرقت ، ترمدت ،
تفتحت قصيدة ،
زهرة من وطن الشمس
فقام من فريجه
بزيج عن جفونه
سيتائر الامس

صالح درويش

دمشق

المصدر العربية والاسلامية القديمة ، من حيث حسن
النطق ، وسرعة النكة ، ووضوح العبارة ، وسحر الفناء ،
وبديع الاختيار .

ولقد صدق من قال « الشعر جسم والفناء روحه » ،
وذكرها : « الطير يسوق العوت اصقلوه الى حنين
الصوت » ولا ننسى في هذه المناسبة الابيات الشعرية
القديمة التي قالتها احدي القيان عندما بددت عن ديار
اهلها ، وجميع شملها فنتت وقالت :

نسأ ربيعت البادية حيث مجتمع السرفساق
وشمتي من ارضي (المحاجر) نسيتم انفس (الصراق)
وايقنت لي ولن احسب بجمعي شمل والفسراق
ومعقبت ممن فرح اللادكسا بكيت ممن الفسراق

ان شخصية ام كلثوم بالإضافة كونها فتاة شعبية ،
لها نصيب كبير من حب الشعب لها ، وتقدير الجماهير
لنفسها ، لم تزل في قلوبهم وارواحهم . لما تتمتع به من
صراحة وبساطة وروح مرحة . واعتقد ان فيها مهما
تطورت الاغنية والقصيدة الشعرية ، يبقى ذا نكهة ،
وطابع متميز ، يضمن لها دنيا الخلود .

ومن تتبع سماع سلسلة « النغم الخالد » من
حياتها ، بصورها بشعر بروحها الشعبية الطيبة التي لا
تضم الا الكفاح والصبر والمثابرة . والتواضع والصدق
لها منا - رحمة الله عليها - دماء المحبين ، وتقدير
المعجبين . وكاتي بشعرها الأستاذ أحمد رامي قد ناجاها
بقوله :

رنة العود شوهها وسداها حنة الناي او النين الكمان
خلقت آهة فكلمات مسرود من هموم العيساة والاخران
وجرت دماء فكلمات شهاد المعصني ورحمة المعصني
وسرت آهة فكلمات فساد يطلق الروح في سماء الامان
بعث الشجو في الفوسرولتي سرورها في القلوب والاذان

محسن جمال الدين

بغداد - كلية الآداب

يا حبلا الحسن يهني زهره عبقا وحبلا الحب تلقى ناره شررا
يا ام كلثوم غني فالفناء اذا نجت عنا سيأتي هلكا الرا

يا ام كلثوم احببت الى فيسا من بعد ياس نلتنا به حينا
يا ام كلثوم انا امة زحمت نعت الصلاب احبنا فلسطينا
يا نجة في سماء الرافدين بيتا انا نحييك الهواجا فيسنا
يا ام كلثوم حينا مسرودا هي الماشك منا والشياطينا

فني وفني الى ان يظهر الظنق ويذهب الليل كل الليل والظنق
يا ام كلثوم فنيسا مسلمة لاننا بعد ايام ستفترق
ظلمت بعد انتظار كاد يقتلنا فكوكب في سماء اللين ياللق
فني لنا لم غني انسا فنية الى الفناء اذا ما طاب نستيق
ولنلتن هذه الساعات ساحبة فاني بصله المعسر لا السق
فالوا : الفناء غذاء الروح ينمسه والحق فيما به في وصفه نلقوا
فكم تلقف في ناس به سوج وكم تلهب في ناس به خلق

اما ثالثهم : فهو الشاعر المرحوم معروف الرصافي
الذي كان معجبا بفن ام كلثوم ، ونظم قصيدة خاصة
بمقترنتها وتأثير صولها على السامعين ، ولم يتكف بذلك
بل زارها في القاهرة واجتمع بها وضمتها صورة فريدة
جمعت بين سحر الفناء ومقترنة الشعر ، وقال منها :

ام كلثوم في فنون الالاسي امة وحدها يسهل الزمان
ذاع من صولها لها اليوم حيث هم كل الانصار واليسدان
ما نقتسب الا وقد سحرنا بها فانتان لها وكي الفتان
في الالاسي تملح الحب فنيسا صريحا بصولها الفنان
تجلس في لحنها مشهد الحب ولون الوصال والهجران
تترك الحب عند التناسلي وريك الحب عند التقاسي
وريك العيب عند التفسراري وريك الحب عند التقاسي
كل هذا في صولها تجلس من غلال الانعام والافعان

ننشد الشعر في الفناء غنائي يبعثون مطابقات الالاسي
حسن صوت يزلنه حسن لحن فيه السامعين حسن بيان
في وفاء الحليم نجفنا طورا وطورا في غلة الشسوان
يشمر المره حين يملأ اليها يفرام من صولها روحان

ان امهات الصوت الجميل الساحر في الادب العربي
قد لعين دورا رائعا في رفع حركة الفنون الجميلة ونسي
الشعر خاصة ، فلولاً (دنائير) و (قمر) و (المعفاه)
(سلامة) (وبناات زربان) و (مليه) وغيرهن ما استطعا
ان نقرأ هذه الروائع التي زخرت بها مجموعة كتسب
« الاغاني » و « المقاد الفريد » و « ميون الاخبار » وقد
درسها الباحثون ، وحلها الناقدون .

وحركة الفني الغنائي المنطقية في تاريخ الادب العربي
من بغداد وقرطبة واسبيلة وقرنطة والحجاز والمغرب
العربي لتعطينا صورة من حب العربي للفناء ، لانه هو
الشعر ، وهو الوتر ، وهو السحر ، وهو الالهام ..
وكانت المطربات المغنيات ، تمتاز نفوسهن بالركة ،
والذكاء ، والبداهة . وحفظ الشعر وارتجاله ، ومسرود
الطرائف ، وحسن التعبير ، وحلاوة الحديث .

ومن درس حياة ام كلثوم (١٨٨٩ - ١٩٧٥ م) توجد
ان هناك تشابها بينها وبين ربات الفن الغنائي في زاهي

كنا ثلاثة من الاصدقاء جلوسا في مشرب « جروبي » نستمتع بجلوسنا الاسبروعية العذبة عندما دارت بيننا جميعا احاديث شتى ، ومن خلالها طرق احدنا موضوعا عن ذكرياته العاطفية ..

واجتاحنا جميعا موجة من الذكريات ، وقص كل منا قصته مصحوبة بضحكيات وغمزات ، وتعليقات ساخرة ولاذعة من الآخرين .

واقبل على جلوسنا صديقنا « يوسف » بابتسامته المعتادة ، وبناقته الفالقة ، رافعا يده اليمنى محييا الجميع ، متفلا عن آخره .

فصحت قائلا :
— اهلا تعال هنا بجاني جئت في الوقت المناسب ..
فقال على الفور :

— خيرا .. سامكت معكم لحظات فقط حيث انني مرتبط بموعد هام .. فمضت قائلا ، واتسا انضاحك :

— موعد هام .. يا ترى موعدا شرام ؟
فاجابني مبتسما :
— كلا ... و ..
فقاطعت قائلا :

— على اية حال كنا نتحدث قبل مجيئك عن ذكريات الصبا .. فقل لنا عما بقي لك في موكب الذكريات ، وعلى الاخص ما تدور حول حواء .. واخذ يوسف يتكلم بعد ان استقر به المجلس على مقربة مني ، وقسسد انبسط على اسنيره ابتسامة :

— لم يعد لي من الذكريات الا موقفان ، فقد عبرت بحباني فتانان ثم اخفنا مع مرور الايام واليالي ، واصبحتا لحنين من الحان اللكري .. فاليكم قصتي مع فتاتي الاولى :

« اشواق »

لم تكد الشمس تغيب في ذلك اليوم حتى فكرت في ان اناديها او احدثها بعد ان تاكدت انها « اشواق » التي

نشأت معها منذ صباي ، وترعرع الحب الصغير بين قلبيها الى ان بلغنا سن الشباب ، ورغم تاكدي كنت اتساءل :

(واذا كانت هي فاي شيطان دخل جسدها ، ورفع صدرها المتناسك خلال الفترة التي تركت فيها القرية) وعندما أصبحت قريبا منها ناديتها في شبه همس :

— اشواق ..

فالتفتت الى مصدر الصوت بكل كبرياء وهي تجلس القرفصاء ومملا الجرة ، وفجأة وكأنها تذكرتني انتصبت واقفة ، وقالت على الفور وقد لاحت على شفيتها ابتسامة عريضة :

— حمد الله عاالسلامة .. شرفت البلد يا سي يوسف .

ذكريات

بعلم رستم كيلاني

ونظرت اليها نظرة طويلة ، اناسل رداها الاسود الذي يشد ما حوله من الجسد شدا ، ويكشف عما يحتويه من سحر ، والجمال الطبيعي الذي لا تملوه المساحيق ، والعيون الصافية والخال الذي يتوسط خدها الايسر والاهداب الطويلة .

وسالتها ، وميناي موصولتان بعينها :

— فاكرا يا اشواق لما كنا نلعب مع بعض واحنا صغيرين .
فهمست قاتلة :



— كانت ايام حلوة .. ثم اطرقت كأنما تتذكر .. ومددت يدي الى ذقنها التي خط عليها وشم اخضر لارفع راسها ، فاذا بها تبعد عني وهي تلتفت حولي ، وصاحت شبه مدعورة وهي تغطي وجهها بخمارها :

— لا .. لا ما تقربش مني ... ما تلمعش ..

وعقدت البفتة لساني .. وظللت في مكاني مشدوها ، بينما عجلت « اشواق » الى جرتها تحملها ، وانطلقت كالاعصار ، وشيعتها بنظرائي حتى توارت من امامي تعاما . مكنت بعض الوقت جالسا على حافة النهر ، ماخوذا بما حدث ، ثم قمت من جلستي بتثاقل ، سالكا السيل الى داري ، وقد اتانني ضيق عنيف ..

وفي الطريق التقيت بـ « صابر » ذلك الشاب ، رفيق الصبا الذي طالما لعبت معه وانا صغير ، ولاحت من خلفه امرأة تغطي انفها ، ونصف وجهها بخمارها ، وقلت له :

— انت ممالك حد يا صابر ؟
— ايوة دي مرني .. اصلي انجوزت من شهرين عقبالك .. تعالي يا بت سلمني على البيه .

وظهوت من خلفه « اشواق » وتقدمت مني وهي تمد يدها لمصافحتي وشخصت اليها ببصري مدهوفا ، وقلت :

— الفامبروك ..
ووقئت عرفت سبب جرياتها .. لقد اخضت « اشواق » لزوجها بقدر ما تستطيع .. اما فتاتي الثانية والاخيرة فقد كانت :

« ليلي »

في امسية من الاماسي الصيفية كنت في طريقي الى عملي ، سائرا على قدمي ، فتوقفت فجأة حينما رايت شابة في غاية الاناقة ، تحضن طفلة رضية على صدرها في رقة وحنان ،

الورى

الناس كلهم فى قلبي اجتمعوا
عنه حدها الى كهف الوردى الفزع
راحت دعوي من الخفاف تنقطع
عسا على كبدي المأروحة الوجة
منه نياط فؤادي كاد ينقطع
نسييت وزني وزال الحزن والهلع
الى مديحي في الخسلان يستمع
راح ابن جنبي على اقدامهم رقع
وفي سويله الامال تصطرع
وفي العروق يؤج الوجد والولع
بالود يمحى به من نسيي الجزء
عفوت عما بي الاحباب قد صنعوا
مسحت دمع فؤادي وهو يتصدع
لانهم كلهم من مهجتي قطع

تكيا، جلود النهى منهن تنخلع
وازهرت في مطاوي نفسه المتع
وبات بالامل البسام يلتفع

محمد المدناني

ما في ابن صديري للاتقاد متسع
كانهم فلذ منه اذا انفصلت
اذا بكوا من مصاب حل انفسهم
وان شكوا وجعا تدمي استنهم
وان بليت برزه فادح جلسل
ويمعوا مهجتي والبري يفرهم
وان هجوني جملت الدهر في شغف
وان ناوا والصدود الم يحترهم
ويطلب الوصل منهم وهو مهتل
يرخي الجفون ويستجني حناهم
القصي امانيه منهم نظرة حفلت
وان رموني بنقد لآلح حسدا
وان اسالوا دعا يجري بحهم
ولقت يا رب صنتهم من اذى واسي

من لم يحب الورى هبت عواصفه
ومن احبهم اخضرت مرابسه
ولازمته طيوف السمى شادية

وظلت من عيني فرحة ملات نفسي ،
ثم اقتربت منها ، وقلت من فوري :
- ليلى .. انتي اكذب عيني ..
وحولت وجهها قليلا الى ناحيتي ،
فمررتني ، لم صاحت هاتفة قسي
نشوة :

- من ؟ يوسف ليس مغفولا ؟
وتصافحنا مصافحة حساسة ،
وسالتني باسمه :

- اين انت يا رجل .. من زمن
لم ارك ؟
- في هذه الدنيا .. كيف حالك
انت .. كنت متلفها الى رؤياك منذ
فترة طويلة ..
- نفس الشعور ..

كانت لم لزل جميلة ، ويدت لسي
كما رايتها اول مرة منذ تسعة اعوام
صبية في الخامسة عشرة من عمرها ،
ذات جمال هادي ، وشعر كستنائي
اللون ، وفمازتين ضاحكتين قسي
وجنتها تزيدها جمالا ..
واستطردت قائلة :

- لقد تغير كثيرا ملامحك ..
- اظن يا « ليلى » سنة واحدة
كفيلة بان فعل في ملامحنا الشيء
الكثير ، فما بالك تسعة اعوام او
اكثر .. آه بالحق من تكون تلك
الطفلة الجميلة ؟

ونظرت الى مبتسمة تقول :
- امجبتك ؟

- حقا انها لصورة مصفرة منك ..
- انها ابنتي الوحيدة « هبة » ..
- اتمرحن ؟

على الفور اندفعت قائلة في تأكيد
وهي تضحك ضحكة رقيقة :

- ابدا .. اقسم لك بانها ابنتي ..
فادرتها قاتلا :

- ومنى تزوجت ؟
فاجابت :

- تروجت من سنتين .. واثت
تعراف روجي حق المعرفة .. وصمعت
هبة ، ثم استكمل حديثها تقول :

- سمير .. سمير عبد الصغار ..
انتذكره الذي كان جارنا في الوقت

برية ، فلم يلبث والدها ان اتها
علبا سبا ، وشما ، وضربا ..
وانقطعت ليلى عن لقائي بالسطح ،
وحومت من رؤيتها ، حتى نقلت مع
اهلي من المنزل ومن الحي كله ..
وقلت في نفسي :

- صحيح كل شيء قسمة
ونصيب ..

وفوجئت ب ليلى تمد الي يدها
باتملها الرقيقة ذات الاظافر الالامع ،
فاتحت كفي راحتها ، وظللت ممك
بها ونظراتي مشدودة الى عينيها ، ثم
مددت يدي الى الصغيرة وقبلت
يدها ..

وافترقنا .. وكل منا يحمل
ابنسمه رقيقة على شفتيه ..

رستم كيلاني

القاهرة

الذي كنا نسين في حي الروفة ..
وسبح تفكيره ، وحلمتي ذاكرتي
الى الوراء لحظة .. وتذكرته كما
تذكرت تلك الحادثة التي وقعت بيني
وبينه يوم حاول التحرش بي ، أنا
و « ليلى » بينما كنا على سطح المنزل
كالعادة ساعة الغروب نتبادل الاحاديث
وتشاجرت معه ، وشريته ..

وبعد لحظات .. كان السطح
يمتلئ ، باهله واهل ليلى ، واهلي ،
وعندما سال والد سمير ابنه عن
السبب الذي دعا الى ضربه ، فنكلم
امام الجميع بما يشين ، ونسب لسي
التي كنت اضم ليلى واقبلها مؤيدا
قوله بما شاهده بنفسه مصادفة .
وكدت اضغط بيدي على عنقه ،
لولا انشغالي بما حدث ل ليلى .. التي
لم يكن بيني وبينها سوى صداقة

لغزبة النفسية في ديوان جبران الصمت

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

• • •

كالحلم الخفي يخاطب الوجدان دون أن يابه للعقل أبدا
وكاللعن الجميل يتحدث إلى المشاعر قبل أن يتحدث
إلى الذهن والفكر .

كافق السماء الممتد يروعك بجلاله ورموزه الصامتة
الموحية دائما

ذلك هو شعر هذا الديوان الرمزي الذي يتشبع
بشباب الغفاء والغموض ، وأن كانا هما منصرا جماله وقوته
ومنهما يستمد شعر الديوان أروع ظلاله وبلغته .

وكما قال بودلير في أزهار الشر (١٨٢١ - ١٨٦٧)
وهو يصف الجمال في ديوانه : « أني جميلة ، كظم من
الحجر ، وحضني الذي أدمى الجميع واحدا فواحدا قد
خلق ليهم الشاعر حبا خالدا ، وأخرس كالعادة .. أنسي
أكره الحركة التي تقلقل القسمات ، ولست أعرف البكاء
ولا الضحك أبد الدهر ، أن الشعراء ليستفدون أيهمهم
في دراسات عميقة أمام مواقف الميية ، التي تحاكي رواثع
الأنصاب ، فإن لي ، ولشعر هؤلاء الشبان الطامعين
مرايا مجلوة تسكب الجمال على كل شيء ، فيلج الواسعة
ذات الإصغاء الخالد » يقول الشاعر السعودي محسن
العامر الرميح : « أكثر شيء يضايقتني فضولي يسألني
عن معنى شعري » - (صفحة ٢٢ الديوان) .

وكما يقول مالمويه (١٨٤٢ - ١٨٩٨ م) بعنوان
« نسيم البحر » « ألا تشمر بالقيود التي تكبل الشاعسر
وتضيق عليه تضييقا ، ألا تشمر بالدواعي الخفية النسي
تهيب به إلى الانطلاق ، وبالسحر الغريب الذي يجلبه إليه
جذبا ألا تشمر أخيرا بالاشفاق ، بالظوف ، بالأيأس الذي
يشير بين جوانحه شعورا بهلاك قد يترقبه حتى من تلك
المفاتي السعيدة التالية ؟ » .

ويقول الشاعر الرميح (صفحة ١٩ من قصيدة « أنا ») :

أحاول أهرب من نفسي

من قلتي

إلى أي .. أي مكان

أفئس من درب يوصلني

عن سحابة تطرني

في أي .. أي مكان

أحاول أبحث عن أجنحة أركبها

تصير بي الأفاق إلى أي مكان في الدنيا

أي مكان
أحاول أبحث عن إنسان يحيا معي
يشاركني قلتي
أي إنسان

أنه محاولة كله ، كل الشعر ، كل الديوان ، للانفصاح
عن المواطن المكتوبة في أعماق النفس البشرية ، وإبصاء
صور من العقل الباطن من الشاعر إلى القاريه ، مستعينا
في ذلك بجرس اللفاظ وإيقاع الوزن ، وتركيب الجميل
ومعانيها الدقيقة . أنه القوس في أعماق الإنسان ، ومعالجه
الحياة الباطنية له ، لا على طريقة الكلاسيكيين الذين كانوا
يبحثون في النفس ، معتمدين على العقل وحده ، بل أن
أساس الفن عند شاعرنا الرميح هو التفلل في طوابع
العقل الباطن عن طريق المغيلة ، مع التوفيق بين المادة
المحسوسة ، والفكرة المتخيلة .

إن شعر الديوان يقتضي التأمل العميق لفهم موضوعه
وتلوق فنه ، والتغاطي الفكراتي صاغها المياع ، والهيام
والاحتفاء بتجارب العقل الباطن ، والميل إلى التجارب
الموضوعية ، الموزعة بين الحلم والبقطة ، والنوم والوعي
والأرض والسماء ، والقاريه له لا بد من أن يبذل جهدا
عظيما لتفهم معانيه ، واستكناهها فخابا مفاصينه ، حتى يمكن
القول بأن فكر القصيدة الحقيقي ، لا يتم إلا بتلاقي فكر
الشاعر وفكر القاريه وتغاطيهما معا ..

ولسوف تقف طويلا .. طويلا ، أمام كل قصائد
الديوان ، تسولي عليك الدهشة ، ويتخللك الحب والتأمل
الكثير الصيقي ، يقول بينك وبين نفسك : أواه أنه لرائع
وأن هذا الجميل وأنه لثير لك الذهن .. ولينتي أفهم أو
أعي شيئا .

الإصالة والوهبة والدكاء ، والعمق والتفلل في أبعاد
الأبد والزمن واللانهائية .. كلها تضفي على الديوان ظلالا
سحرية ، وتشعر وانت تقرأه أنك تدخل مدينة مسحورة ، كل
شيء فيها مشير للاستغراب ، للحيرة ، للدهول للفكر ..

يقول الناشر في تصديره للديوان « في شعر الديوان
عنقوان الإصالة والتغرد بالاتجاه المعصري على أجنحة
الذهب الرمزي .. وقصائده تشدد على أصالة موهبه
كشاعر أصيل ، ذي عطاء رفيع المستوى ، استطاع أن
يكفي تقاطعه مع رمزية بودلير ورامبو وغيرهما ، فيخرج
من هذه التفاعلات بشعر يتنيز بطابع شخصي مستقل من
حيث أبعاده ومن حيث طريقة سبكه لتجارب الحسية
والشعورية والانفعالية على صعيد التشبع الواعي المحيط
بأعماق التجربة ، وعلى صعيد الاستيعاب من تيار حوار
الذاتي الباطني » (صفحة ٧ الديوان) .

ونحن أمام هذه الإصالة نشعر من بعيد بموسيقى
خفية ، تنافي الإحلام ، وتناجي البوق وتهز المشاعر ..
فالذا التفت لم تجددها بين يديك ولكنها تعود كليف سارب
في الفضاء ، وكخيال سابع في السماء .

حوار

مع الجرح المفتوح منذ ربع قرن

★

فد لا تنزف في كل مساره ..
اويمكن للجرح المفتوح ؟
ايضا بالصرخة في الافلاك
اواه .. ايا صوتي البجوح ..
لا ترحل في سطوح الاشياء
فرحلت كالثقب السفوح
الدعشة تكن في الاعماق
سافر خلف الجدد المتسروح

ورابتك ترحل ذات نهاري
والعالم يصير في مينيسك
وتزيفك قد سكن الافلاك
والوجد يلوح على شفتيك
وفلسطين .. العمر الماضي ..
وتظل تسمر على قدميك
وفلسطين .. العمر الآتي
والكون تنفس من ربتك
وفلسطين .. الحلم الباقي
والعالم يركع بين يديك

والكون يفيق .. يفيق .. يفيق
والجرح يفيق ويولد مننه
نهاري

سلافة العامري

دمشق

تقاد كثيرون ، هزهم واثارهم اثاره كاملة ان هذا الديوان
باتفامه الحاة الجميلة ليعدنا تامل مع الليل والنجوم
والسما والافق والصبح .. مظاهر الجمال بين الطبيعة
المهمة والشاعر الاصيل المتلقي والشعر المؤثر الجليل اللهم
ا نأخي الرميح فيما كتبه منه ومن شعره منذ نحو
ربع قرن لا أجد اضافة جديدة عليه .. اكثر من ان أقول:
انه يتألق ويصعد ويحلق دائما
انه يشعر بداته ، ويشعرنا بشخصيته وبمنحنا كل
تجاربه بقوة ، وبمناكك مشاعره النبيلة .. وهذه هي سمة
الاصالة في شعر الشاعر ونفسه وعميق تجربته .

محمد عبد النعم خفاجي

القاهرة

ووراء ذلك كله الجمال الجمال العميق ، الذي تحس
به في ظاهرة التكرار ، التكرار للصفات ، للموصوفات ،
لاي شيء ، بعنا للجمال ، للفناء ، للموسيقى الازلية الخالدة
وبعنا كذلك لمشاعر القاري وعواطفه وكل اعماق نفسه .
ولسوف نقرا قصائد الشاعر في الوحدة والغربة
والنفسية ، وهي مجموعة قصائد الديوان الاولى :
انا - المدينة المخيم عليها الصمت - اموت وحيدا - طوفان
دوران - في صحراء عمري - في النية كما نقرا مجموعة
قصائده الثانية الغزلية : غريب - مع الليل - نداء الحياق
بعد الفراق الخ .. او مجموعة قصائده الثالثة « ٦ رسائل
الى حواء » او بكتانياته على قبر امه وقبر ابيه .
فسوف تجد في كل ذلك الشعور العميق بالوحدة ،
بالفراغ ، بالحرز ، بالشجى ، بالنظم الى الاشراق الروحي
بالتغافل مع ظاهرة التشاؤم ، بالحب ، بالامل ، بالحياة
المتجددة فيمثل قصائده الوطنية : « الى المعترك » و « مواكب
الابطال » .

الحرز يتشبع في الديوان بالفرح ، والامل يتوكل على
مصا سحرية من الامل ، والفربة تمتزج في نفس الشاعر
بصدقة الطبيعة والحياة وحب الجمال في كل شيء ، حتى
في جرس اللفظ ، وتركيب الجمل ، وصياغة الفكرة ،
والعاني الدقيقة .

استمع الى الشاعر يقول من قصيدته « في صحراء
عمري » (صفحة ٥٦ الديوان) :

أشمر بالدوار
أشمر أن العالم كله
كومة أحجار
ومحرقه
تأكل النار فيها النار
ومقبرة
تتكسد فيها الاموات
ثم يقول منها : صحوت من موتي
اصبحت حيا
ما ونجد تحولي شيئا
سمعت من داخلي صوتي
مرفت
اني صحوت من موتي

وقصيدته « غريب » (صفحة ٧٣ الديوان) تخالف
كل قصائد الديوان ذات الموسيقى الحرة ، فهي من بحر
السريع وفيها يقول :

يا ايها النافخ في نايه
اروح الحان الهوى والجمال
لا يا اخي ، لا ، حسبي
انا سكراني من رحيق الخيال
فامض وكن للرئيس والقتل
وللدجى حسي يبيس الشق
واملا بانفاسك كناس الليال
واشفيق على لبيبي ان يهترق
وان كان منها بعض اسطر تخرج من وزن السريع ،
الا انها تمتاز بموسيقى حلوة متجددة الايقاع .

وماذا أقول من هذا الديوان الذي شهد له قبلي

الى القمر

يا صفحة الخلد الاصيل
منه بالنور الجليل
ع الله سلوى للعلول
في الحب والذن الجليل
الهم في ليل طويل
قرب نورك ما يزول
رقية القلب العليل
كم كنت للساري ، الدليل
وطن يعاديه الدخيل
طالما تسبي العقول
تستبين لنا العطل
وروضها واقفي الدليل
والقلوب لعله يسروي الغليل

مرحى ايا قمري الجميل
يا نوحه الغيب الموشى
هذا ضيلوك من شما
تهب الحياة لرأغب
تهب السرور لمن عناء
من شفه الحرمان يلقي
كل الشجون غدا ستفقدو
فابعث شعاعك هاديا
واشر ضياء الحب في
واكشف لنا عن سر دنيا
وافتح رتاج ... عليك
عما تعانيه النفوس
واسكب ضياك في القلوب

هل أدريت من التزل
فمضوا بواديك البطيل
وخيلهم نور ضئيل
هيهات تتركها العقول
تدريه ارواح تجول
وما له ابنا مثيل
وكيفما تبع اصيل
فؤاد من ضل السيل
هيهات يطفئه القليل
واذن فلم تجد البديل

افتحت بابك للدخيل
ضافت بهم دنياهمو
ظنوا الطريق مبدا
دنيا عوالم
سر اتسبابك للسمو
البي ايا قمري الجميل
انراة ظلك رائعا
ماذا يضرك لو هديت
ان كان حيا زائفا
اخشى عليك فضولهم

في ذلك التيه المهول
فتعود كالطفل الهزيل
همسا يوشوش للدخيل
لتطيح بالروح الثقيل
سيح في الدنيا الدهول
هيهات يتركها الافول
اضواؤها تهدي السيل
سر على الفق الاصيل
ولحنه في كل جيل

اخشى عليك سباقهم
اخشى عليك نزاعهم
قرب لتسمع من هنا
صوب سهامك من عل
نور تبارك ربه
انا في سمائك نجمة
انا من شعاعك لمحة
هدهد فؤادي اتسي
معناه في هذا الشعاع

جيلة العلالي

عن شمس - مصر

منشئ « الزهور » وداود بركات ... الى آخر ذلك
الموكب الحافل من حملة المشاعل .

ولد هذا الكتي فرح انطون في طرابلس لبنان (١)
عام ١٨٧٤ لايه تاجر الاخشاب الذي رغب في تعليمه ليشركه
في تجارته ، فالحقه منذ الصغر بمدرسة « بكيا » وتخرج
في السادسة عشرة من سنه . . وكان على حظ من الذكاء
فاجاد العربية والفرنسية ، وذا ميل الى الاطلاع فراح ينهل
من الكتب والقصاص في هاتين اللغتين ، ونثر باحرا الفكر
والدعاء الى الإصلاح ، وشعارات الثورة الفرنسية في
وقت كانت بلاده العربية تزج تحت وطأة الاستعمار
والتخلف . . ثم اشتغل مع ابيه في التجارة فترة ، ولكنه
تركها حين ندب لادارة مدرسة اهلية اثنائها جمعية خيرية
في طرابلس ، وبها امضى بضع سنوات كان في اثنائها يكتتب
بعض الصحف والمجلات ، ولا ينقطع من المطالعات .

وفي الاسكندرية بدأ ادبنا الشاب بشق طريقه ، وليس
في جعبته غير قلمه ومبادئه . . وهو ليس بالغريب في هذه
المدينة الكبرى بين الالوف من اخوته العرب ، وفي بيئة
اشاحت فيها جالياتها الاجنبية جوا من الحرية في القول
والحركة والانفتاح على العالم الخارجي . . وهو ليس من
فريسين التجارة والمال ، ولكنه ما لبث ان وجد مجاله الذي
مهده من قبل طلائع الوافدين والمقيمين . . وكانت
الاسكندرية فيما بين الربع الاخير من القرن التاسع عشر
والربع الاول من القرن العشرين ، سوقا للصحف والمجلات
العربية من كل لون وشكل (٢) تظهر تباعا في مر السنين .
وكان اندم تلك الصحف واهمها - جريدة « الاهرام »
التي اصدر عدها الاول الاخوان سليم وبشارة نقلا يوم ٥
اغسطس ١٨٧٦ - واتباعها بعد شهر بملحق يومي سمياه
« صدى الاهرام » - ولكنه عطل بعد سنتين من صدره
لنقده السلطات الحاكمة وانتصاره للفلاح المظلوم . فأخرج
ملحقين آخرين . ثم عاد « صدى الاهرام » عام ١٨٩٩
ليحل بالاسكندرية مكان « الاهرام » التي نقلت الى القاهرة
عامذاك بعد ان اصبحت يومية منذ عام ١٨٨١ (٣) وفي
هاتين الصحيفتين (الاهرام - وصدى الاهرام) نشر فرح
انطون عددا من مقالاته بتوبيعات شتى ولفتت انظار قرائها
ومنها « دائرة الحق » . .

ولدى نزول فرح انطون بالارض المصرية ، كانت
الحركة الوطنية التحررية ، الرافضة للاحتلال البريطاني
في اشدها يتزعمها مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) ورفاقه

(١) ورد في القاموس « التجدد » بيروت ط ١٩٥٦ ان مولد فرح
انطون عام ١٨٦١ ولي بالي الراجع ١٨٧٤ .

(٢) يذكر فليبي طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية »
اسماء صحف الاسكندرية بين عامي ١٨٧٣ - ١٩٢٩ - ١٢٨ جريدة ٨٠
مجلة .

(٣) قصة الاهرام في مقالة عن « سليم وبشارة نقلا » - مجلة
الاديب مايو ١٩٦٩ لنقولا يوسف .



نقولا يوسف

فرح انطون

١٨٧٤ - ١٩٢٢

في الذكرى المئوية لوطنه

بقلم نقولا يوسف

• • •

في يوم من عام ١٨٩٧ نزل بالاسكندرية قادما من لبنان ،
شاب في الثالثة والعشرين من عمره ، على القلب بحب
وطنه ، وباللهفة على تحرره وتقدمه ، ومسيرته في ركب
الحضارة البشرية والنهضة العلمية . . خرج مع القافلة
المهاجرة الى مصر والامريكتين ، خلال النصف الثاني من
القرن التاسع عشر ، املا في عيش اوفر امانا ويسرا . . وما
لبث المتأدبون من هؤلاء النزلاء بالاسكندرية من برزقي ميادين
الادب والصحافة وكان منهم : صاحب « الاهرام » سليم
وبشارة نقلا ، وصاحب « مصر » والتجارة « اديب اسحق
وسليم النقاش ، وصاحب « البصير » رشيد شميل ،
ومنشئة « مجلة الفتاة » هند نوفل . . ومجلة « انيسيس
الجليس » اسكندر خوري . . واسماء : خليل مطران ،
وايليا ابو ماضي ، ونجيب الحداد ، وطانيوس عبده ، وعبد
بدران ، وزينب فواز ، ووردة البارجي . . كما لمس في
القاهرة صاحب « المقتطف » يعقوب صروف ، ومؤسس
« الهلال » جورج زيدان ، ولبيبة هاشم ، وانطوان الجميل

مجلة «السيدات» .. واتفق الصديقان على الهجرة الى اميركا ورحلا معا حوالي عام ١٩٠٧ الى الولايات المتحدة الاميركية ، املا في رغد العيش ..

وكان المهجر الاميركي تجربة جديدة لفرح انطون لم تدم طويلا ولم تعد عليه بقائمة مادية ، وان كان قد خرج منها بديروس معنوية ، لقد حمل معه صحيفته العربية « الجامعة » وراح يصدرها هناك يومية واسبوعية وشهرية ، ولكنها تعرضت لازمت مالية مصفت بالصحيفة وصاحبها ، فرجع الى القاهرة بعد غيبة عام او نحوه ، ليتابع نشر « الجامعة » وليشتغل بالقلم .. ففسى شرقي العربي السمح الصاعد ، الجدير بصرته وكفاحه ، حقله الخصب المترقب للري والغرس مغلفا ورواه عالما صاحبا آليا يقدر المادة وتستبد به فلسفات القوة وتنازع البقاء ، ولكنه عاد في الوقت نفسه ، ومثله زميله نقولا الحداد ، اكثر ايماننا بواجب السير في موكب الحضارة الحديثة المؤسسة على العلم والصناعة والابتكار ، غير التكرة للقيم الروحية في الانسان ..

لما نقولا الحداد فقد ظل وقتا يتاجر في السجاد ثم ترك تجارته وبك ايضا الى القاهرة لينشئ صيدليته بشبرا ، ويرعى أسرته وابناه ، ويواصل الكتابة في الصحف والمجلات ، ويؤلف ويترجم ، ويرأس فترة تحرير « المتقاضي » حتى وفاته في ربيع ١٩٥٤ وكان قد سبقه فرح انطون الى عالم اليتام عام ١٩٢٢ عزيا لم يتزوج ، ولم يترك بعده من حطام الدنيا غير ثروته الادبية التي يبحث عنها اليوم أبناء الجيل الجديد ...

وشرع فرح انطون منذ عودته الى القاهرة يكتب في صحفها ومجلاتنا المعاصرة له ، ويؤلف ويترجم المسرحيات لفرقتها المشهورة .. وبدأ بالتحريض في جريدة « اللواء » عام ١٩٠٩ وزامله عابدا في تلك الجريدة الكاتب سلامه موسى وكان شابا معجبا بأراه فرح انطون ومن قراء مجلته « الجامعة » ، ولم ينس فضله واشاد بذكره في « المجلة الجديدة » التي كان يصدرها منذ الثلاثينيات . ويقول في كتابه : « تربية سلامه موسى » (٥) صصام ١٩٤٧ « واصلت صداقتي بفرح انطون حين شاركته في تحرير نشر القوافي لفترة قصيرة . وكنا نقضي السهرة في احسدى القهوات المظلمة على ميدان الاوبرا .. وكان فرح مفكرا حرا بالمعنى الفرنسي لهذه العبارة . وكان حليبي الاصل ولذلك شق عليه اتخاذ اللهجة المصرية العامية . وكان انبساطيا مفرحا ... » ويقول « وقد ترك كل من جرجي زيدان

وكثيرا ما جاء هذا الزعيم الشاب الى الاسكندرية ليلقي خطبه الشهيرة في مسارحها وبخاصة في افسسوام ١٨٩٧ و ١٩٠٢ - وشهد بها فرح انطون ويطلع على صحيفة « اللواء » التي كان يصدرها مصطفى كامل بالقاهرة منذ اوائل عام ١٩٠٠ - وقد فرح ان يجر بها عام ١٩٠٩ ، مانصرا هذه الحركة الثورية كما فعل خليل مطران وابليا ابو ماضي - ومتابعا نضاله بقلمه مع ثورة ١٩١٩ ومحروا في صحفها حتى وفاته ..

ثم رأى اديبنا فرح انطون ان يصدر مجلة ادبية اجتماعية سماها « الجامعة » ظهر عددها الاول بالاسكندرية يوم ١٥ من مارس ١٨٩٩ ، ولابر على اخراجها ثلاث سنوات قبل ان ينقلها الى القاهرة والى اميركا ثم الى القاهرة ثانية فعاثت سبع سنين ، كانت خلالها مدرسة حديثة تنقف فيها الكثيرون ممن طالعو بها روائع الادب المترجم حسن كبار كتاب الشرق والغرب ، وتعرفوا على مشاهير الادباء والعلماء والفلاسفة ، وعلى آرائهم ومؤلفاتهم وما في هذه الاراء من جديد ، وما في تقارب الحضارات من تفجير للنهضات .. وكان مما كتب في « الجامعة » ابحاث حسن فلسفة ابن رشد ، والامام مبدد ، وفلسفة الصين ، ويوزا وكنفوشيوس ، وعمر الخيام ، وشرعية حمورابي .. وعن كاتل وفلسفته ، وفلاميون الفلكي ، وبرتلو الكيمائي ، ونشبه كتابه : « هكذا تكلم زردشت » ، وربان وصلاته عند الاكربول ، وراسكن وحب الطبيعة ، ولولسنوي وروايت « البعث » ، وجول سيموني ، وكسكير ، ويكوي وفكتور هوجو ، وكبلن ، ومكسيم فوركي .. وكتب عن شوقي وحافظ ابراهيم وقاسم امين وعن اصلاح التربية والتعليم ، وتنقيف المرأة ، وعن الحرية ، وعن التمثيل ، وعن القصة ، داهيا دائما الى الاصلاح والنهضة ، والتحرر الفكري والسياسي ..

لم اخذ يعاون شقيقته الادبية « روز انطون » على اصدار مجلة سنوية باسم « مجلة السيدات والبنات » - ظهر عددها الاول بالاسكندرية في اول ابريل ١٩٠٣ - ولكنها احتجبت بعد عامها الثاني لتصدر بالقاهرة عام ١٩٢١ في ثوب جديد ، وسميت « مجلة السيدات والرجال » وشارك في تحريرها نقولا الحداد - زوج السيدة روز انطون الحداد حتى توفيت عام ١٩٢٢ بعد جهاد مرير ..

وكان هذا الاديب العالم نقولا الحداد (١٨٧٢ - ١٩٥٤) - ابن قرية جون بجوار صيدا (٤) قد جاء الى مصر شابا يهوى الادب والصحافة ، وبدأ العمل بصحف الاحرام والرائد والمؤيد وما لبث ان عاد الى بيروت حيث درس الصيدلية والكيمياء في جامعتها الاميركية ، وتخرج بعد اربع سنوات ، ثم رجع الى القاهرة ليكتب في الصحف ويترجم القصص ويؤلف الكتب العلمية ، وتآلف الاديبان فرح انطون ونقولا الحداد وكانا متقاربين في السن والتفكير وحب المعرفة ، وتزوج الحداد بشقيقة فرح انطون صاحبة

(٤) انظر « نقولا الحداد » - « الاديب » مايو ١٩٦٨ - لنقولا

يوسف .

(٥) كتاب « تربية سلامه موسى » ط ١ - ١٩٤٧ وط ٢ -

١٩٥٨ ط ٢٢ و ١٨٥ و ١٨٦

ثم يقول :

« وفرح انطون كسائر الكتاب الذين يستوحون قلوبهم ، ويقطرون على القرطاس من دماهم ، مفكر تؤثر في تفكيره عوامل الحياة ، وتنبث في نفسه الوان الجوالابي الذي يحيط به .. والذي قراه من كتب ناطق بحسية صاحبه يدل على انه من وحي ذهن لا تمر به مذاهب الفكر الشائعة في زمانه عينا ، ولا تتعارض حوله تيارات الحياة بغير جدوى . ولعل اصوب ما يقال فسي كتاباته انها خير دليل على اتجاه تيار الفكر في ابله ، وخاصة في نشأته الاولى اي في عهد الصبا المتفتح للعالم ، القبل على كل جديد ، الذي قل ان يوصد بابيه في وجه طارق من طوارق الافكار الجميلة ، او يفسد بوضعي في نفسه على ضيوف الاحلام الالعبية والخواطر الوسيمة ... »

وعندما توفي فرح انطون بالقاهرة في الثالث من يولييه ١٩٢٢ بعد ذلك الجهد الذي اضناه ، افتقد مرسلوه وشعروا بالفراغ الذي خلفه بعده ، وكتب بعضهم عن حياته وعن آثاره في فترات متباعدة .. ثم نسيه الناس كمادتهم ، واحتجبت آثاره عن انظارهم .. وراينا عقب وفاته كتابا صادرا من مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٢٢ بعنوان : « بواش الشجون في رثاء فرح انطون » ، واوردت مجلة « السيدات والرجال » بالقاهرة ، لصاحبها شقيقته « روز انطون » وقرينها نقولا الحداد ، مدحا خاصا عنه في سبتمبر ١٩٢٣ . نشر ادب بالقاهرة المرحوم ابو الخضر منسى كتابا عنه عام ١٩٢٤ . ثم رثاه عباس محمود العقاد بفقائه الساقط الذكر في « البلاغ » عام ١٩٢٤ وما قال : « مفس ثمانية اشهر على احتجاب ذلك الطيف ، واحتباس حركته ، فكان مغيه في نفوس المحبين والعارفين رزما فادحا والمالبرا ، ونزعة شديدة وشقة بعيدة . وكان في تصور الخيال خطوة واحدة كخطوة الطيف الهائم جعلته لواطط الاصوات ، فادى الى ظلمته الساكنة ... »

وكان مما كتب سلامة موسى نداء نشره « بالمجلة الجديدة » في يونيو ١٩٢٧ جاء فيه : « في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما ويحسن برجال الادب الذين يبرفون فضلل هذا الادييب العظيم في النهضة الحاضرة ، ان يحتفلوا به فان في الاحتفال تنويرا بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث ، واعتزافا بفضل على التفكير المصري . ونحن لا نعرف ادبيا ممن يؤبه بهم في مصر لم يثائر باحسن التأثيرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة في

(٦) جريدة « البلاغ » بالقاهرة - مارس ١٩٢٤ وفي « المطالعات للعقاد - ١٩٢٤ ص ٦١ - ٦٦ - وكتابه : « رجال مرثهم » ١٩٢٢ ص ٩٩ .

(٧) المجلة الجديدة - بالقاهرة - لصاحبها سلامة موسى - عدا يونيو ويولييه ١٩٢٧ - السنة السادسة .

وفرح انطون اثره في النهضة المصرية فان الاول فتح ابواب الدراسة لتاريخ الاسلام والعرب ، وآدابهم وعقائدهم وحضارتهم ، كما فتح الثاني ابواب الدراسة للنهضة الأوروبية .. ويقول ايضا معلقا على ما ذكره له صاحب عقب سماعه بحادث القنبلة الدرية انه احس كانه يحتاج الى تربية جديدة كاملة يولد بها من جديد ، يتعلم معارف جديدة ، ويقف على كنه هذه القنبلة وعواقبها الحربية والمدنية « اتى (والكلام هنا لسلامه موسى) في عام ١٩٠٨ احسست مثل هذا الوجدان ، وضاققت نفسي الى حد الانفجار . فقد وجدت في الادب الذي نقله اليي العربية فرح انطون ، ومن نظرية التطور السني داب في شرحها يعقوب صروف في المتكفف ، اتى اراء رؤيا اتسا اعمى الا من بصيص منها ، وان هناك آفاقا مغلقة يجب ان تكون هي واهتمامي في حياتي ان افتحها ... »

ثم حرر فرح انطون في صحيفة « مصر الفتاة » ١٩١١ وفي « الحروس » ١٩١٣ وكتب مقالات في بعض المجالات ، منها مقالة عن فلسفة نشته بصحيفة « عكاظ » (فريارس ١٩١٤) حيث قدمها صاحبها بهذه العبارة : « فرح انطون هو واحد من المفكرين الذين يعدون على الاصابع في هذا البلد . هو صاحب « الجامعة » التي كان لها رأي يمتد به في الحركة الاجتماعية . هو اول من نقل ترجمة الفيلسوف فردريك نشته الالاني الى العربية ، واول من بسط فلسفته ، واول من قارن بينها وبين فلسفة شوبنهاور » واول من اختصر مبادئه من كتبه ... »

ثم عمل فرح انطون في تحرير « جريدة الاهالي » اليومية وكان يصدرها عبد القادر خنجر بالاسكندرية منذ عام ١٩١٠ ثم نقلها الى القاهرة عام ١٩٢١ والحركة الوطنية في اوجها ، وتعرضت مرارا للتعتيل ، وتركها حمزة الى جريدة « الحروس » فمطلتها الحكومة فاستأجر صحيفة « الافكار » حتى يناير عام ١٩٢٣ حين اصدر « البلاغ » وكان فرح انطون قد انتقل الى رحمة الله .. وكان هذا الصحفي الوطني الكبير عبد القادر حمزة ، بلقى دائما في شخص فرح انطون وقلمه ، المعاونة والنزاهة والاخلاص ..

وفي تحرير « الاهالي » بالاسكندرية تزامن المرحوم عباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، وتصادقا ، وكتب العقاد بجريدة « البلاغ » عن فرح عقب وفاته مقالة تفيض بالوفاء والتقدير لهذا الكاتب الفتي (٦) وقدمها بوصفه في اواخر حياته « .. كان كثيرا ما يرى في هذه العاصمة غادبا او والحا في خطوة وثيدة وعزلة بعيدة ، كانمسا يسري من حيث لا يعلم الناس الى حيث لا يعلمون ، ذاهب الطرف اتى صار .. غير مشغول بامر الطريق . على وجهه سماحة تظلمه سحابة من اسف شجي ولوعة مخامرة . وفي عينيه حيرة فرت من فرط القلق ، فمادت في رأي العين طمانينة راضية . وعل شغفيه صمت مصر كظيم ... »

أودنا يعود إليه . وقد كان دأبنا في كل فرصة أن نتعرف بفضلہ ، ولذلك نحن ننتهز الفرصة الحاضرة لتنبئہ الوجدان الأدبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على وفاته .

ثم عاد سلامة موسى فقال في العدد التالي من مجلته « كتبنا في العدد الماضي ندعو الى الاحتفال بذكرى فرح انطون لورور خمسة عشر عاما على وفاته ، وعندنا ان احسن ما نسجل به هذا الاحتفال ان نطبع مؤلفاته جميعها ، ومعظمها الان قد نفذت طبعاتها باستثناء رواياته من الثورة الفرنسية . فان الجيل الناشئ يكاد يجهل اسم فرح انطون ، وهو ينتفع كثيرا اذا طبع له مؤلفاته ، وقممت له لدرسها والاستمتاع بآراء هذا الكتاب الكبير » واغلب الظن انه لم يحتفل بذكراه منذ وفاته ، ولم يطبع شيء قديم من مؤلفاته ، ولم يجمع ما تشتت من مقالاته ، وان كان قد نشر منه بعض المقالات والدراسات خلال تلك السنين ، لكنني سمعت حسني مقالته بالجملة الجديدة (يولييه ١٩٣٧) يقول فيها : « كان فرح انطون من اوائل من دعا الى الراء الحرة في الشرق العربي وفي طليعة من نبهوا الى الديموقراطية بين الناطقين بالفساد .. كان يتحمس في دعوته للحرية ويرأها حقا مقدسا من حقوق الشعوب والامم . فلما رأى الشرق تشابه الطامع الاستعمارية البشعة ، دعا اقاربه الى التضامن وتكوين جبهة متحدة مترامية للوقوف في وجه هذه الطامع على ان تسلب بالقوة .. كان ادبيا ذا ضمير حي . لم يكن من الذين يكتبون للمتاجرة او السعي وراء الشهرة او الجري وراء المآثم . بل كان رفيق المشورة ، غير الانساني بالآام المجتمع . ولذلك فقد ظل طيلة حياته انسانا كامل الانسانية في معاملته للناس ، بلأى بهم .. (٧) .

ثم نشر في بيروت عام ١٩٥٠ كتاب صن « فرح انطون - حياته وادبه - ومقتطفات من آثاره » تقديم الاديب بطرس البستاني .. وفي الستينات تجددت ذكرى فرح انطون في البحثين اللذين كتبهما الناقد الباحث المرحوم مارون عبود في مؤلفيه : « جدد وقدام » ١٩٦٣ و « درود النهضة الحديثة » ١٩٦٦ .. ورجع فيهما الى ما كتسب فرح وما كتب عنه ، وحلل فيهما آراءه وافكاره ، ولخص الكثير من قصصه ومؤلفاته وكان مما قال : (٨)

« فرح انطون اديب اجتماعي قبل كل شيء ، قسي مجلته ومقالاته ، وقصصه ومسرحياته . هو رسول الديموقراطية في الشرق العربي ، نشر تراجم الرجال ، شرقيين وغربيين ، ليجعلها أمثلة للشرق . وكثيرا ما كان يذكر مزايا الحيوان ليبيّن اخاه الانسان .. وان ذكر خبر عليا فليجلب بالعتل البشري ويتغافل .. كاتب لسوري

(٨) مارون عبود : كتاب « جدد وقدام » بيروت - ط ٢ - ١٩٦٢ ص ٢٥ - ٧٨ وكتاب « رواد النهضة الحديثة » - بيروت ١٩٦٦ ص ٦٨ - ٢٢٢ .

وعلمي بروح رومانتيكية فالتربية والمدرسة حديثه الدائم منذ مولد (الجامعة) حتى موته .. كل ما خط قلم فرح انطون يتفق وروحه . بل قل لم يكتب كلمة تخالف عقيدته وروحه الحية .. عشق المثل الاعلى عشقا جنونيا ، وحاول اصلاح الانسانية بعنف ، فصار نصحه تحملا ، وتوبيخه صراحا .. انه يحب التفخلف في احشاء الماضي مفتشا عن الكمال الصانع بين الامس واليوم .. انه في اتجاهه الدائم الى اصلاح المجتمع وبخاصة في الشرق ، لا يبدان الاستعمار المسيطر على البلاد ولا الطبقات المستغلبة للفقير ، فيكشف سياسة الطبقات التي تمضي في تواطئها مع الانجليز في مصر ، ويندد بالاقطاعيين - فانهم لا يعرفون غير مصالحهم ، لقد نسوا منذ زمن بعيد ماذا تعنسي الحرية ... »

كذلك تناول الدكتور محمد يوسف نجم عددا من روايات فرح انطون ومسرحياته بالنقد والتحليل والتلخيص في كتابيه الصادرين ببيروت في الستينات « القصة قسي الادب العربي الحديث » و « المسرحية في الادب العربي الحديث » وفي رأيه ان فرح انطون « لا يسوق القصص لفانية فنية او لتسليية عابرة فحسب ، بل لبث افكاره الخاصة ، وليعلم القراء ويعظم » ، ويمحض النصح .. ويمكن تقسيم آثار فرح انطون الى ثلاثة اتجاهات الاول : الابحاث الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتربية ، ومنها كتابه « فلسفة ابن رشد » ومقالته عن فلسفة الصين ، وعن نيته و ترجمة معظم كتابه « زرادشت » وعن « لوت وريان وتولستوي » ، وترجمته لكتاب ريشان عن « تاريخ المسح » وكثيرا مقالاته في مجلته « الجامعة » وغيرها من المجلات والصحف ، في الموضوعات الفلسفية والتعليمية والدعوة الى اصلاح الاجتماعي بعامه ، وللتصنيف بأداب الامم وآثار مفكرها .

والثاني : الرواية الموضوعية والمترجمة ، ومن الاولى - المؤلفة - روايته التي نشرها عام ١٨٩٩ سلسلة بمجلة « الجامعة » وسماها : « الحب حتى الموت » واتخذ من احدى قرى لبنان مسرحا لها ، ومن اهلها ابلاا لقصته ومنهم شابان لبنانيان يتهايان للهجرة الى اميركا ، وفيها يشهد بأمانة المرأة المحصنة ويدعو الى الفضائل الانسانية . ثم نشر عام ١٩٠٣ رواية بعنوان : « الدين والعلم والمال » سلسلة ايضا بمجلة « الجامعة » اقرب السى البحث الاجتماعي الحاشد بالخطب والحوار منها السى القصة الفنية الالوفة ، وعرض فيها المؤلف آراءه في الدين والعلم والمال ، وفي العمل والعمال ، محاولا تصوير المجتمع المثالي او المدينة الفاضلة على نمط كتاب « الطوبيات » (يوتوبيا) وكما يقول فرح في مقدمتها : « .. وقصد سجنها هنا رواية على سبيل التساهل ، لانها عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في خلائق المال والعلم والدين ، وهو ما يسومونه في أوروبا المسألة الاجتماعية ، وهي عندهم في

المنزلة الأولى من الأهمية « لان مدنيته متوقعة عليها .. »
ويقول : « ان الفكر والعمل اساس التقدم والحضارة ..
بالفكر والعمل يقوم تاريخ الانسانية .. »

ثم نشر فرح انطون قصة اخرى سماها : « الوحش
الوحش ، الوحش » وتدور حوادثها في بعض مدن لبنان ،
ويتمثل في اشخاصها مختلف الخلق والطباع ، وما يمثل
في نفوسها من حب وبغض ، وقوة وضعف ، وكرم وغدر
... وكما تدته يستطرد خلال السرد القصصي الى نقد
البدع والتقاليد ، وإلى الحديث عن الحب والمحبة ، وعن
مرض السيل ، وعن آراء العلماء في الطب والتاريخ
والاقتصاد والتحليل النفسي ، وإلى وصف الأماكن
والبلاد .. ومع ذلك ففي القصة كثير من عناصر التشويق
وارباط الحوادث ، وبخاصة فيما جرى بين التاجر الطيب
« متى حاروم » وصديقه التاجر الغادر « لوقا طمعون » مما
ادى الى اغلاس الاول ومحاولة ابنته الانتحار ، ثم ما
بلاقيه الغادر من مصير محتوم على يد حبيب الفتاة ،
وكانت قد هجرته لفقره الى امريكا وتزوجت غيره فاصيب
بالجنون .. (١٠)

وفي عام ١٩٠٤ - اصدر فرح انطون روايته ذات
الطابع التاريخي : « اورشليم الجديدة » او فتح المرب
بيت القدس » ولقد اشهر قصصه واكثرها فنية ..
وتدور حوادثها في فلسطين ايام الدولة الرومانية الشرقية ،
عندما زحف العرب الى بلاد الشام وانتقل عبر بن الخطاب
ليتسلم مفاتيح القدس من بطريقها . ~~سواء يصح~~ المؤلف
ان تكون قصته تاريخا دقيقا لفتح للمرب ~~انفسها~~
عددا من الشخصيات الخيالية التي يتحدث المؤلف بالسنتها
في الوعظ والارشاد ، وعرض مبادئ وآراءه في القضايا
الاجتماعية والسياسية والمذهبية ، وفي الاخلاق والحب ..
وان كان قد تطرق ايضا الى بعض الزوايا التاريخية ،
فوصف احوال تلك البلاد قبل الفتح العربي ، والاسباب
السياسية والاجتماعية التي اضغمت الامبراطورية
الرومانية ، وادت الى سقوطها .

وقد ادلى بعض الكتاب بأرائهم في هذه الرواية منذ
ظهورها - فنشر يعقوب صروف في القنطف (ابريل ١٩٠٤)
العدد التالي : « رواية تاريخية فلسفية اجتماعية .. حسنة
الوضع منسجمة العبارة - ويظهر لنا مما طالعه ان كثيرا
من حوادثها التاريخية منقول من الواقدي ، لكن كتاب
الواقدي نفسه رواية تاريخية - فجلدا او محص المؤلف
ما نقله عنه ففرق بين الحوادث التاريخية والقصص
الموضوعة - وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والاقتوال
الفلسفية ، يشف بعضها عن لوم صاحبها اليوم الذي
يجاهر به المرء اذا انحرفت مسحته من كثرة التسلسل ،
وتملكته السوداء ولو برهة يسيرة . او اذا رأى الشرور

(٩) محمد يوسف نجم : كتاب « القصة في الادب العربي الحديث »
ط - ٣ - بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٢ ، ١٠٠ ، و « المسرحية في الادب العربي »
(١٠) لغس مارون عبود في كتابه السابقين بغض هذه الروايات
في ايجاز .

والفساد وابت عليه نفسه الاية ان بغض الطرف عنها .. »
بينما يكتب عباس العقاد (البلاغ ١٩٢٤) : « كان
فرح انطون كتابا على استمداد الرواية والقصص ، وكانت
ملكته القاصة تظهر احيانا في مقالاته الادبية والسياسية
كما تظهر في رواياته وحكاياته . فمال به هذا الاستمداد
الى وضع الروايات ، فاحسن وارتفع في رواية اورشليم
الجديدة » .

ثم يقول عنها مارون عبود : « اما خطة القصة فيديرها
فرح كقائد محتل يعرف كيف يربح المعركة الفاصلة ...
اما اذا عثر بحجارة القضايا الاجتماعية فيقف ويطيسل
الشروح ، ويشير ابحاثا عنيفة بين ابطاله ، تكاد تملأه لولا
اسلوبه الحي واندفاع قلعه المحوم ، وعاطفته المتقدة
الصادرة عن قلب مقروح . فاذا كنت تقرا لتتسلى فليكن
بغير فرح .. تاخذ المؤلف نوبة الوعظ ولكنه وعظ حار غير
ملول . ولا عجب ففرح قصصي عالج المسائل العظيمة
كتولستوي وغيره .. »

وشرح فرح في وضع رواية سماها : « مريم
المجدلية » او مريم قبل التوبة .. ولكنه توفي قبل ان
ينها وكان يستوحي فيها مذهب نشئه في دعوته الى
القوة ..

والى جانب هذه القصص الموضوعة ، ترجم فرح
انطون عددا من الروايات الفرنسية المشهورة ، فعرّب عن
« بيطس رابطة » : « الثورة الفرنسية » و « ذات السور »
ومن روايته « سبب جبر روايتي » الكوخ الهندي » و « بول
وعرجيتي » ومن شاتوبران رواية « اتالا » ..

واسهم فرح انطون منذ مطلع القرن العشرين في
الحركة المسرحية العربية بوضع المسرحيات الاجتماعية
المهادفة ، وبترجمة عدد من التمثيليات الأوروبية واقتباس
منها ، وتعمير بعضها ، ومنها ما لحن واخرج على شكل
« الاوبريت » .

ومما ألف من المسرحيات « صلاح الدين ومملكة
اورشليم » أبرز فيها البطولة العربية في فترة حاسمة من
تاريخ العرب وهي فترة الحروب الصليبية وتحمل عددا
من الشخصيات غير التاريخية لتمثل الفضائل العربية في
صراها مع الغزاة ، وقد مثل جورج ابض وفرفته هذه
المسرحية بدار الاوبرا بالقاهرة عام ١٩١٤ ولقيت نجاحا .

ووضع مسرحية اجتماعية سماها « بنات الشوارع
وبنات الخدور » تتخللها صور شعبية من النوع الاستعراضي
ومثلتها ايضا فرقة جورج ابض بدار الاوبرا عام
١٩١٤ ، وفي العام نفسه قامت هذه الفرقة بتمثيل
مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » التي اقتبس
موضوعها عن قصة لامييل زولا ، ثم مصرها - اي اخذ
صورها واسماء اشخاصها من الحياة المصرية المعاصرة له -
وبلخصها فرح في مقالة (نشرها في صحيفة « الجريدة »
٥ من ابريل ١٩١٣) بانها في الحقيقة أربع روايات (مناظر)
متداخلة بعضها في بعض ، وينظمها سلك واحد الاولسي

الادب وواجبات الكاتب ، ما عرضه لنقد الناقدين ، وان كان قد برر بعضهم عمله هذا بشتى المبررات (١٢) وكما اول ما اخلوه عليه انه لم يأخذ نفسه هنا بالآراء التجديدية التي دعا اليها .

ولقد دأب فرح انطون على نشر رايه ومذهبه في كتابة البحث والقصة والمسرح ، ومن ذلك مقالته بمجلة « الجملة » - يونيه ١٩٠٣ بعنوان : « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » ومما جاء بها « لكل عصر حاجات .. والمصر قد تغير من حسن الحظ ، ولم يعد المقصود من الادب وصناعته مدح العظماء ، بل صار يقصد به امر اسى من هذا بكثير . ويزيد بذلك تكوين الامم ، وتكبير نفوسها ، وانها من ضعفتها ، وترقية شؤونها . ومتى ثبت ان اول اغراض الادب والعلم ترقية الامم وانها من الشوب ترتب عليها ان تعلم حاجات الكاتب الشرقي الجديدة في هذا العصر .. واول حاجات الكاتب حرية الفكر والنشر ، فانه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر ، فانه يكون صادقا منصفا عادلا .. ويشترط في ذلك ان تكون الحرية مطلقة في اقواله لا ان يتكلم بحرية في هذا الموضوع لان الحرية فيه موافقة لمصلحته ، وبذهاب ويصالح في ذلك لان الحرية فيه مخالفة لمصلحته ، ولانيها ان وظيفة الكاتب هي ان يقول الحق وينطق بالصدق كن يشترط عليه ان يترك دائما للقاري الحكم في المسائل التي يسطها لان القاري قلما يحب ان يضغط عليه ليقنعه .. لا تضع ايديك في منزلة الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان .. والحاجة الثالثة ان يحب الكاتب صناعته ويطلبها لانها .. لا ان يجعل عمله قسرا ويرغم طبيعته به .. والراية فضله في المواضيع التي يكتب فيها .. واذا هناك الافكار والانفاظ التي يعبر بها متعبا .. واذا ساعدت الاحوال المعارف الشرقية فانها تنتقل من طور الاتباع الى طور الابتداء ، وحينئذ ينبغ في « الشرق المبكرون والمخترون » ، ولا نعود نرى المعارف الشرقية نسخة من المعارف الاوربية .. »

ثم يقول فرح : « .. هنا مذهبان مختلفان ينتزعا من الكتاب في كل امة تقريبا الاول مذهب الذين يعتمدون على قواعد السلف واقوالهم في الكتابة والتأليف فلا يخرجون عنها قيد اصبع ، والثاني مذهب الذين يحكمون بقولهم واقوالهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقليد اذا لم يكن في محله ، ويؤمنون ان يكتبوا كما يشعرون ، ومهما صرخ انتصار المذهب الاول ، فان مذهبهم اخذ في الانقراض . فلا تكرر الافكار - المعاني المعاني . هذا هو الفرض الحقيقي من الكتابة ، لان الانفاظ ليست سوى لباس للمعاني ولا ننسى ان وظيفة الكاتب الكتابة للامة لا لنفسه ، ولا لطبقة واحدة من طبقات الامة . وان حسن التأثير شرطها الاول ، والفائدة العمومية اساسها الحقيقي » .

وكتب مقالة اخرى عن فن التمثيل في مصر والشام في عصره (قال في اوله : يصح ان يعتبر فن التمثيل

تدور حول « فؤاد بك » الذي يمثل قوة الارادة والنشاط والعمل وصيانة النفس والعيلة ، والثانية عن ابنة العيلة التي سقطت لظفر اخلاقها في طلب الحرية ، والثالثة تدور حول صاحب كازينو في مصر وما به من لهو وقمار وسكر ورقص ، والرابعة عن جماعة من الوارثين وما كانوا عليه وما صاروا اليه بسبب التبذير والطيش .. ثم يقول : « نهى بهذا لون اجتماعي جديد يعالج مشاكل العصر بأسلوب واقعي حقيقي .. وتعد وليقة هامة في تصوير قطاع من الحياة الاجتماعية التي سارت في الربع الاول من هذا القرن في بلادنا » .

وفي الوقت نفسه كان فرح انطون يعبر المسرحيات الاوربية المشهورة لتمثلها الفرق العربية الكبرى في عصره .. وفي عام ١٩٠٤ قدم مسرحيتين عربيتين اسكندر دوما الكبير هما : « البرج الهائل » و « ابن الشعر » ومثلتهما فرقتا جورج ابيش واسكندر فرح ومعه سلامة حجازي .. وترجم « اوديب الملك » لسفوكليز ترجمة كاملة ومثلت بدار الاوبرا بالقاهرة .. وعرب مسرحية « الساحرة » لساردو وقام ببطولتها جورج ابيش .. ثم مصر روايسة « زازا » لامييل زولا وادخل فيها مشاهد مصرية وشعبية ولوحات استعراضية كتخت الفناء وصاحبة الدودع ورائع الجرائد وما اشبه من وسائل اجتذاب الجماهير للفرق المتنافسة .. (١١)

فتحت وطاة الظروف المادية ومطالب العيش وبخاصة في سنوات الحرب العالمية الاولى - ممسها لا تجدي معه الاعمال الادبية الجهادية - حرفة الكتابة بعامه ، ثم ما حدث من ظروف اخرى فصلت بين فرح انطون وجورج ابيش في عامي ١٩١٦ - ١٩١٧ ، استجاب فرح لنداء الفرق الفنية الاستعراضية وعلى رأسها فرقة المطربة منيرة المهدية ، فقدم لها المترجمات والمقتبسات من الاوبرات الاوربية والمسرحيات الفنية ، ورصمها بالاقاني العربية التي وضع العائنا كامل الخولي وكان منها « كارمن » التي قدمتها فرقة منيرة المهدية بالقاهرة عام ١٩١٧ واوبرا « تايس » عن قصة اناطول فرانس - في العام نفسه - و « اوبريت اونا » لحنها ايضا كامل الخولي ومثلتها فرقة منيرة ثم « الشيخ وبنت الكهراء » و « كلام في سرك » و « كارمينيا » كلارمينا » و « روزينا » للفرقة ذاتها .

وكان لانسحاق فرح انطون في تلك الفترة الى ترجمة واقتباس مثل هذه المسرحيات الفنية المشهورة وتجوير عائنها ارضا لادواق الجماهير والفرق وهو القدير على التأليف والابتكار ، وصاحب الآراء التجديدية في اغراض

(١١) مجلة « المسرح » بالقاهرة - عدد نوفمبر ١٩٦٧ - « فرح انطون والمسرح الاجتماعي » مقالة لعبد كمال الدين .

(١٢) انظر نقد محمد تيمور في كتابه « حياتنا التمثيلية » ١٩٢٢ ص ٨٦ - ومحمد مندور في كتابه : « للمسرح الثوري » - ١٩٥٩ ص ٥١ .

حديث جديده عن حب قديم

★

يقول سلكت الدروب نحو الى الهوى
فتحت لها قلبي وارخصت دمعها
عجيب هوى صب يجالد وحده
ويؤلمها الا تراني شاحبا
والا تراني جانيا متضرعا
وترتاح اذ ينهار جسمي خائرا
كتمت هواها فافتريت من الردى
وهل يملك العشاق صبرا وحكمة
يموت شهيد الوجد في خفق للظقة
تفرغت ان تهدي السي تحية
وقلت : اغتلبني من هواك برحمة
سارفى.. سارفى بالاخاء فكلمني
فلم ترض الا بالجفاء مروعا
اردت لها عمرا يفيض سعادة
ابت ان تلبى للحياة نداءها
تملكها طيش العناد وقسدها
اخدها بالشعر ، وهي تصنعه
ولو عرفت ما الشعر صلت وكبرت
فمن كان في شرع المحبة ظالما ؟

حارث طه الراوي

بغداد

يعلم شيئا عن خطرهما ..
وفي حديثه من الروايات والقصص يستبعد تلك
التي تكون للتسلية .. ان مذهب « الجامعة » ومبادئها
في رواياتها هي الروايات الاجتماعية فلها الوظيفة العليا
... ويرى ان تأليف الروايات التاريخية التي تتناول تاريخ
امم الشرق يوقفنا على تاريخنا ومع ذلك فهو لا يرى
وظيفة سامية لهذا النوع من الروايات طالما تكون مزيجا من
الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي هذا افساد
للتاريخ ومجازاة لمن يشاهدها في الاغلب من العوام .

نقول يوسف

الاسكندرية

مقياسا لتمدن الامة ودليلا على ادبها - والعناصر التي
يتألف منها هذا الفن هو سواد الامة . وهذه العناصر
ثلاثة : الجمهور والكتاب والفرق التمثيلية .. وهو يرى
ان الجمهور التردد على المسرح ما زال ورومانتيكا . فالكتاب
لا تزال اقلامهم « حصرما » لم تنضج بعد . والمقلد منهم
يترجمون اذ يعلمون انهم لا يستطيعون التأليف .. وهو
لا يعرف لهم علما في مسائلين الاولى : اختيار مواضيع
الروايات وجعلها مما يكون جالما بين اللغة والفلسفة
والثانية : تنزيه الروايات من السموم التي تتنافى مع
الاداب العامة ، فالجمهور يقبل على هذه الروايات دون ان

الباص يسير على الطريق العام في بطء سير سجين مكبل ، فقد غادر المدينة ممثلاً بالركاب . وفي أثناء الطريق التفت ركاباً آخرين ففس بركابه حتى كاد يتوقف ثقلاً كما تتوقف سفينة هاجمتها رياح البحر .

وكان بين الركاب رجلان جلسا على مقعد واحد من المقاعد الخلفية . وكانا يتحدثان عن المرض والأطباء ، أحدهما شيخ قوي السعال ، والآخر شاب يكتنز في جسمه قوة ونشاطاً وحيوية .

وكان بين الركاب رجل وزوجته جلسا أمام ذلك الرجلين ، وكتبا يتحدثان من أهل الزوجة المقيمين في المدينة التي توجه الباص إليها . وعلى أحد المقاعد المحاذية جلس شابان في مقبل العمر يتحدثان عن الحب والنساء . وكانا يطلقان ضحكات طائشة من حين إلى آخر . وبذلك وضعما حداً لابتساماتهما الهادئة التي كانت تطفو على شفاهما في أثناء الحديث .

وكان السائق من الثلاثينين المروفين . ولعل الثرثرة لا تسروقه إلا وهو يسوق بابه في خلال أسفار طوال . وقد جلس وراءه مساعده . وكان يصفي إلى السائق وهو يعادله في شوق وأجباب ، فقد طرب لنكاته وانطلاق لسانه وسلامة ألفاظه ، لاحظ بعض الركاب أن السائق شغل عن قيادة السيارة بمحادثة مساعده والالتفات إليه ، وقد هم أحدهم بأن يلفت نظر السائق إلى ذلك لكي يوجه اهتمامه إلى قيادة الباص وسلامة الركاب ، ولكنه خجل أن يفعل ذلك خشية أن تصيب عاطفته كلمة جارحة من كلمات السائق الجريء الصفيق الوجه .

وبطء الباص خلق فرصة للركاب للتمتع بالمنظر الطبيعية الممتدة على جانبي الطريق والمؤلفة من الكسود الخضراء التي طرزت بها أرض حمراء

الترية ، ومن أشجار المشمش التي مضت بضعة أشهر على قطف ثمارها واحتفظت بأوراقها تروح على أنفاسها المتعطلة من حمرة الأثمار الشهية الحلوة ، ومن أشجار الزيتون ذوات الخضرة المظلمة التي تقف في زراثة وكبرياء على رؤوس الجبال . وعلى الجداول والعيون قد بدت رائحة المناظر خلابة الجو .

والباص وإن كان قد استعمل منذ بضع سنوات وحال لونه وتضعفت بعض أجزائه وتلف غطاء محركه وتمزق عدد من وجوه مقاعده ، غير أنه يبدو شيئاً لميناً في الأرائسي التي يسير فيها لثقة الباصات التي تمر فيها .

انتقاد للتصنيف

بقلم عبد الحميد الانشاصي

وبينما كان الباص يسبق طريقته بين تلك المناظر إذ اقترب من بلدة تقع على مقربة من طريقه . وقدوقفت بجانب الطريق شابة حسنة مزهرة بوجهها المتفتح الجمال وبقومها الشبيه بساق زنبقة بيضاء . ولم تكد الشابة ترى الباص حتى أشارت إليه فتوقف . ودخلت الفتاة الباص وعيناها تبحثان عن مقعد يجلس عليه بين ذلك العدد المتراس من الركاب ، وقد صوبت إليها الأنظار وحاصرتها من كل ناحية . وتلك الانظار وإن



أردت بعضها عنها غير أن بعضها ما زال متجلبذا إليها في صمت وأرتياح، ولكن أحداً من الركاب الرجال لم ينهض عن مقعده وبدعوها السي الجلوس في مكانه . وأخيراً صوبت نظرة طويلة من عينيها الواسعتين المحولتين إلى شاب اتفق اللباس جذاب الشكل فوجد نفسه يقف وبدعوها في ابتسامة خفيفة وكلمات رقيقة مهذبة إلى الجلوس في مكانه من المقعد . فكافأته الشابة الحسنة بابتسامة مشرقة زادت وجهها جمالاً ، والصبر المتوج بشعر غزير . وجلست على المقعد في الارتياح وسرور .

ثم واصل الباص سيره ، ولم يكد يبتعد عن البلدة بضعة كيلومترات حتى اتمزقت طريقته قرية صغيرة . وقد وقفت بجانب الطريق فلاحاً . ولما دنا الباص منها أشارت بيسرها إلى السائق فتوقف الباص . والقي السائق نظرة وراءه ليتأكد من وجود مكان للفلاح ثم قال لها :

— إن مكان في الباص ، خير لك إن تنتظري الباص القادم فانك لاشك واجدة فيه متسعاً .

ولكن الفلاح لم تكثر لكلامه إذ قالت :

— إن الباص القادم لا يأتي إلا بعد ساعة تقريباً . وفي ذلك أضاعة للوقت وتأخير عن الوصول السي وجهتي .

فلم يجد السائق بداً من أن يدخلها الباص تاركا لها تدبير أمرها في شأن الجلوس . أجالت الفلاح بصورها بين الركاب باحثة عن مقعد لها ، فابقت بعد ذلك أن الباص يحمل أكثر من طاقته . وظلت وأقفة تسرح نظرات الاستعطف في وجوه الجلوس من الركاب الرجال . ولكن أحداً منهم لم ينهض من مكانه لتجلس المرأة . تأملت الفلاح نظرة ساخطة على الركاب .

(أصوات من الداخل : هل جردت قلوبكم من النخوة ؟ اليس بينكم رجل

واحد ذو نخوة ينهض عن مقعده
ويسبح لي بالجلوس قسي مكانه ؟
انه ليس من المروءة ان ابقى واقفة
بين الرجال) .

(منظر في الداخل : تصوب نظرا
غاضبا الي راس رجل قريب منها
ادار وجهه عنها لئلا تلتقي عيناهميينها
فتناقص الشفقة عليها . وانتظرت
ربما التفت ذلك الرجل اليها ،
فتقدمت اليه وقالت له بنفمة صارمة
غليظة : قم ! انك شاب ومع ذلك
فانت تهرب بنظرائك مني ، اتني اولى
منك بالجلوس على المقعد لانني امرأة
وانت رجل) .

مضى ربع ساعة والركاب ملازمون
مقاعدهم والفلاحة واقفة في الباص ،
فشعرت باهتماما وباحتقار بنسي
قلبا الساخط وكادت تدوبهما .

وكان بين الركاب شابان اتقان
يوهم مظهرهما انهما في سعة من
العيش وعلى جانب من الثقافة ، فقد
كان احدهما يرتدي بدلة على الطراز
الحديث بواقعة القماش ضيقة ، وبت
من جيب معطفه الطوي متدبل مطرز
صفت امامه ثلاثة اقلام حبر احدهما
طلعي بما يشبه الذهب البراق . وحمل
انفه نظارة من البلاستيك عريضة
الدرامين . غير ان راسه كان قليل
الشعر اذ احاطت شعرات سود
متباعدة بصحراء صلته الالامعة ، اما
الاخر فقد كان في اوائل شبابه .
بدلته رخيصة الثمن ولكن تفصيلها
جذاب . وشعره غزير ، وقد سدل
على صدفيه وعنقه بشكل وحشي
دلالة على انه من الخنافس . ولكنه
كان يتحدث بنفمة مهذبة رقيقة .

(الشاب الاول متكبر شرير كثيرا
ما اعتدى على الناس بالصفع واللكم
والسباب وهو مرتد بدلة العمل
القدرة في كراجه ، وان كان مظهره
الان يتم على انه استاذ في مدرسة
محترمة . والشاب الثاني مشهور
بفخراته الغرامية مع الفتيات
الصغيرات ، غير انه دمث الاخلاق
حلو العشر) .

وكان الشبان يتحادثان من قبل
حديثا جديا يقاطعه الصمت من حين
الي اخر . ولكنهما لم يلبثا ان خاضا
حديثا هزليا بعد ان دخلت الفلاحة
الباص ووقفت فيه ، اذ قال الشاب
الثاني واسمه بسام للشاب الاول :

— لو كانت الفلاحة امرأة متمدنة
لنهض احد الركاب من مكانه لتجلس
عليه . (اننا نعتبر الفلاحين نوعا
اخر من البشر) .

فقال له الشاب الاول واسميه
حافظ :

لا تنس ان الفلاحين كانوا من
قبل يقطعون مسافات طوالا من الطريق



عبد الحميد الانشاصي

مشيا على الاقدام . وكان الرجل
منهم يمتطي حملا ومن خلفه زوجته
تسير وراء الحمار حافية القدمين
وعلى راسها مقطف مملوء بحاجات
اشترتها من المدينة . فان كان الفلاح
نفسه يحتقر زوجته فكيف يحترمها
الرجل المتمدن ؟ .

فضحك بسام ضحكة طليقة لسم
قال :

— صحيح ؟ هل كان الفلاحون في
تلك الحال من التخلف ؟

(انني لا اصدق ما قلته لي) .
فنظر حافظ اليه من مؤخر عينيه
في ابتسام مزوج برؤاثة تدل على
الخبرة بشؤون الحياة وقال :

— انك شاب صغير السن لم
تختبر من الحياة الا القليل ، لقد
رايت ذات يوم فلاحة تاكل لقمة من
رغيف اسمر مع لقمة من خبز ابيض
على اعتبار ان الخبز الابيض كالجبين
فهو يشبهه لونا ويمتاز على الخبز
الاسود بمذاقه الطيب . فهل رايت
امراة في العالم اشد حماقة من تلك
الفلاحة ؟

(مهما ارتقى الفلاح فانه ينظر
ملتصقا باسفه) .

فققه بسام قهقهة طفل ساذج
اغرت حافظا بالضحك معه . لم قال
الاول :

— هذا من الغرب ما سمعت . في
حياتي . استجوتة تلك المرأة ام
مقتصد ؟ (ان ما نقوله نكتة مبتكرة
وليس امرا واقعيا) .

لم قال حافظ بدمه هنيهة من
الصمت :

— ان الفلاح يختلف عنا في كل
شيء : في ملبسه وطعامه ومكانه .
نحن نعيش في القرن العشرين ،
والفلاح يعيش في القرن الخامس
عشر . ارتدنا البدلة ، وهو ما زال
يرتدي القنابر ، مغطنا الطويل نلبسه
في فصل الشتاء فقط ، وهو يرتدي
عباءته شتاء وصيفا . حسرتنا
الطربوش من رؤوسنا ، واي هو ان
يحسر الحطة من راسه . اننا ناكل
اتواما مختلفة من الطعام نجعل اخرها
الطوى والفاكهة . اما الفلاح فلغنامه
بصل او صعتر نلا حلوى او فاكهة .
يبيع الفواكه في اسواق المدينة ويحرم
نفسه شيئا منها . اما الطبيب
الذي يتناول — وقلمنا يتناول طبخا
فان نفس الرجل المتمدن تسمزمتنه .
لا نكهة له ولا لذة .

فاستغرق بسام في الضحك حتى
اهتزت كتفاه . اما حافظ فكان يطلق
من فمه ضحكات مكثومة متقطعة في



معلمي؛ لا تسلم من ذاء، ومن يكن على يديه اقتبست العلم من صفري اخذت من زميني درسا غيت به من فاته عالم، فالدهر مدرسة آمنت بالدهر استانا ومدرسة

معلمي الكن يمشي على وهن بلا جزاء ولا شكر ولا منسن عن فلسفات بلا معنى ولا ثمن ليس المعلم في ذنالك كالأزمن ما خطه الدهر، لا ما خط بالقلم

بوانس ايرس - الراجتتين

عبد الطيف الغشن

شيء من الرزاة والتماكل . وقصد شجعه ضحك بسم وسروره على مواصلة الحديث عن الفلاحين فقال : - قال لي احد اصدقائي مرة وهو صاحب سيارة خاصة كنت قصد اصلحتها له منذ عهد قريب : ان قرى الاجانب تعد قطعا من المدينة فيها ماء نظيف وكهرباء وابنية صحية جميلة ، لذلك يشمر سكانها عن الفلاحين انهم لا يختلفون عن المتمدنين الا في شيء واحد وهو حرق الارض وفلاحتها . اما القرية متناذلة فهي ليست قطعة من المدينة . انها مجموعة من المساكن يقيم فيها نوع اخر من البشر يختلفون عنا في كل شيء .

كان حافظ يتكلم وبسم مصغ اليه في تفكير . لم يضحك هذه المرة ، ولم يقابل كلام صاحبه بالصمت بل قال له في رزاة : - هذا شأن الفلاح فيما مضى . لقد تقدم الفلاح في هذه الايام واصبح خيرا مما كان عليه من قبل ، وابتنى منازل جديدة بعضها على الطراز الحديث . وهو الآن يستعمل الحركات في استخراج المياه وتوزيعها على المنازل . وبعض القرى القريبتين المدن استمدت الكهرباء منها . وهناك قرى يستعمل اهلها محركات لتوليد الكهرباء وايصالها الى البيوت . ان الفلاحين وفراهم في تقدم مستمر

سكان المدن . (انك متعامل على الفلاحين ما في ذلك ريب . ولست ادري لذلك سببا وقد تكون حادثة مؤلمة قد وقعت لك مع بعضهم فكرهتهم لهذا السبب . ان الفلاحين بشر مثلنا ولا يحق لك ان تنكر عليهم وتحترقهم) .

نفس حافظ بصدمة موجبة من جليسه اذ كان يتوقع ان يضحك بسم مما جدله به كما يضحك من قبل . غير انه لما زال مصرا على رايه ، وابتنى بنقاد لراي شاب في ريمان الشيايب وقال :

- انظر الى تلك الفلاحة الا يشعر ركاب الباص بنفور من الركوب معها ؟ (انك ما تزال خاما في هذه

الحياة) . - ولم ينفر الركاب منها ؟ - اثم تفهم ما قلته لك من قبل ؟ (يبدو لي انك بليد الدهن) . جرى ذلك الحديث والفلاحة تنصت لحافظ ، وكانت من حين الى اخر تصوب نظرها اليه ، ولكن هذا لم يكثر لها ، وراح يتقدم نسي الفلاحين ويلم القرى .

وقد لاحظ بسم ان الفلاحة قد تغيرت ملامح وجهها اذ اقتبضت تقاطيعه ، وقطبت في تالم . ولعلها شعرت لاضف تاجم من تألمها منس موقفا المخزي ، فجلست على ارض

الباص تعب . شعرت انها قدسدت سحر اوتولتها التي تمكنتها من التأثير في الرجال وانها اصبحت امرأة مهمله لا وزن لها . كانت افكارها توسوس اليها في صمت : « انك حقيرة . انك مظلومة . لا احد يكثر لك . انت المرأة الوحيدة التي لا مكان لها على مقاعد الباص . »

ادرك بسم ما يجول في خلد تلك المرأة من الافكار المنفضة ، وشعر انها نبذت واهملت ، والقي اللوم على الرجال الذين يجلسون على المقاعد في راحة واسترخاء متجاهلين وجودها معهم .

لقد رى تلك المرأة ولكنه نسي الوقت نفسه اعجب بها لانها آثرت ان تجلس على ارض الباص مع الاحتفاظ بكرامتها وعزة نفسها على ان ترجو احد الركاب من الرجال ان ينهض من مقعدها لها . جلست على ارض الباص في تجلد وصمت دون ان تنوه بكلمة تنسب بها مما تشعر به من خسري

والم . تحملت حرمانها الجلوس على احد المقاعد في صبر ، وتحملت ايضا ما سببته من ذلك الرجل التثيل الظل - حافظ - من التهمك بها والسخرية منها . لا شك انها شعرت ان الرجال لم يتكفوا بابعادها عن المقاعد بل راحوا ينتقدونها وينتقدون الفلاحين بلا ذوق ولا احترام .

نفر بسم من الانتقاد القاسي الذي صبه حافظ على الفلاحين . ذلك الانتقاد البدي جادته به قريحته العاقدة دون ان ياتي الفلاحون اليه سودا كان انتقادا لئسلا لا للتوجيه والاصلاح . لذلك اعتبره اجسوف

تافها . وهذا ما حدا بسم الى ان ينهض من مكانه منتصبا في نخوة قائلا للفلاحة :

- تعالي الى هنا يا اختي واجلسي في مكاني .

عبد الحميد الانشاصي

قصائد باكية ضائعة

شروق ...

وانوارا وانساما ونعمى	رايتك في بهيم الليل طما
واكرع اكوسا اترعن هما	وكتت اراقص الاحزان وحدي
واحمد ساكنا من بعد غما	واصرخ حين يفتقني سكوتي
واضحك اذ يكون الدمع دما	واذ يطو البكاء اروح ابكسي
ففتقني على الايام وهما	مهازل خطها في الرمل وهي
ولم اتبس باين ، ولم ، وغما	واطياف سراقن ويبس عمري
سقطت مناترا ، والليل اعمى	وقلت تبجي ، سوف يجيء حتى
وهل روجي سكنت وعشت قنما	فهل اشرفت من قمم احتراقي

بكاء ...

بشاف ظليلي ، لا ولا الدمع راويا	سابكسي على نفسي ، وليس بكاتيا
وما كان لييل ، غير اتي بدا ليا	قطعت افكار الليل ظمان طاويا
وما كان فووه ، بل حرفت بناريا	ورقصت في ساح الشياض فصائدي
مفين ولا يستبين في نهاريما	فكيف اذا ست وعشرون حصة
وحملت يوم العشر وزر كتابيا	وكيف اذا ما ابتلق الموت ففتلي
واطمع في جنات خلد بواقيا	الامسي شباب العمر في حمة الهوى
اذا لم يكن هفو الاله رداثيا	لعمري ، ضلال ما اؤمل في غدي

الدمي ...

لواذا ، فلتست بذلك الابي	لواذا بركن قصي قصي
واخت طيك بعزم جلي	اذا ما دعتك صروف الليالي
على نغم ساحر عبقري	دعوت قوافيك غيدا تهادي
وسيف رفيق الشباخشبي	وصلت بقارورة غطر شهسي
وابكيت ، حتى فؤاد العظي	فاضحكت ، حتى جموع التكالى
اذا ما اتيت بشعر وعسي	فهل تستطيع لذلك قهرا
اذا ما بكيت بدمع سخي	وهل تستطيع لحقك ردا
الى نفس كل دعي دنسي	لعمري سالتك امرا حبيبا
لواذا لواذا بركن قصمي	فكف صراخك عني وهيا

ابراهيم بن خليل المجنوني

عمان - الاردن



فاجعة ماريلنج

مسرحية شعرية - تأليف عثمان مردم بك - ١٢٠ صفحة - منشورات موهبات بيجروت - مطبعة القيم بيطهارة كسروان لبنان

المسرحية الشعرية اذا عالجت موضوعاً تاريخياً ، وخاصة منها ما يسمى بالثقة الحديث المسرحية الشعرية التاريخية تحتل ان تكون مسرحية ، اي تراجيكية تتلبد الى حد كبير باصول تأليف الكلاسيك ، التراجيكية القديمة ، كما تحتل ايضاً ان تكون مؤثرة او مفعجة ، اي ميلودرامية ، فتسير الى نوع الميلودراما ..

هذه التفرقة بين المأسوي التراجيكي ، والميلودرامي ، وابيها الدرامي حتى يومنا هذا غير واضحة في ما كتبه المؤلفون النقاد من طلائع مسرحنا الشعري العربي احمد شوقي ، وعزيز ابيظة ، وعثمان مردم بك .. وكنت عملت بالفعل من زاوية نفسية ، وفنية على ان افهم الميلا منها ، خاصة ان معظم شئخ هؤلاء الزواجر حتى الان من النوع التاريخي الصريح (١) .

مثل ذلك اتنا نستطيع ان نقول في - مصرع كلوبوترا - لاجميد شوقي ، او في - الناصر - لمؤيد ابيظة ، انهما يأتونان رام قديمهما ليعلان سمات ميلودرامية ، من واقع ان كلا منهما ، على اختلاف نمية كل من صاحبهما ، تظهر العنصر المأسوي في صراعات الابطال الزاء الفار دهيبة تسيرها ، في حين - العنصر - وخصوصاً فرقة - لثمان مردم بك اذا تلتنا لثمان من هذه المأسوية ، فيمسرحية - رابيسا المدوية - ، او الخلاج - ، او - فلسطين الثائرة - تسيروا الى الدراما التصويرية ، او ايضاً الميلودراما التحليلية ولثم من غلبة الواقعية القائمة للاسفل ، وهكذا نوايك ..

ان مسرح عثمان مردم بك الى الان من النوع التاريخي ، وهو بين مأسوي صريح ، وبين درامي ، وميلودرامي يحمل طابع الكلاسيك .. وان مسرحية - فاجعة ماريلنج - له ، والتي صدرت مؤخرًا مثال على هذه المأساوية التي تعبير الى الميلودراما ..

وتفسير ذلك في الموضوع ، ولقائنا العربي ، وان موضوعات عثمان مردم بك ، رغم انها من التاريخ ، الا انها متنوعة ، ويشترط شاعرنا الكبير فيها وحدة الموضوع .. لم انه يفعل حرصه على تصوير الشخصيات ضمن اطر الموضوع الواحد ، او لكونه يميل للعمل المسرحي الى المأساوية ، او الميلودرامية ..

والحال في هذه المسرحية الشعرية الجديدة - فاجعة ماريلنج - هو كذلك ، انها من التاريخ الحديث ، وموضوعها في الاساس هو انتحار الامير رودولف بن فيشر النمسا عام ١٩٠٨ ، ولكننا لا نقى قصة هذا الانتحار بلقمر ما نعلم مواقف الامير من الحياة حتى يصير اليها الانتحار ، ومن هنا صارت الى تصوير لمصراع مع المقت ، ومزجت المأساوية بميلودراما ، والعنصر التاريخي بالحق المأساوي ..

والا سرنا مع المؤلف في نمته لوضوحه ، او في تقنيته لفرسه له ، نجد في مقدمة الكتاب يذكر : اردت في مسرحية ماريلنج ان ابكسي

الشياب الغداوي في مقامه العالية ، وفي ميالته النافذة ، وان اصف احاسيس الشياب للثقافة من ليرة مثالية الى اثره هي غاية في الانانية (٢) .

وبالفعل المسرحية توجه تنوعا الى ان تلبس لبوس الانسانية ، فتكلم على تصويير الشخصيات ، ورودولف شينقانه ، اصغلاؤه ، مناوئه الخ .. عبر مشاهد فطامية من حياة الامير الفاضلة ، او العامة .

الفصل الاول في قامة الناصر في ماريلنج يقدم لنا خطوطاً عامة عن الشخصيات الاساسية ، والعمل المسرحي ، نصص به يمزاجا الامير وايضا ميالته .. والفصل الثاني في احاسيس غرف الناصر نفسه لشاهد الامير مع زوجة ، وقد برزت ملامح الاسي والتشاؤم عليه ، ثم نشاهد مع صديقه الامير المجري كلرلي يؤكد له تاييد قضية المجر ضد الاكلان ، ثم يبرز له الغايا شجيرة ميالته ، وتلمحه انها حامل منه ..

والفصل الثالث يجري في فيينا ، وتري فيه اصطدام الامير رودولف بالقائد اودولف اخي الغايا ، لا يخشاه القائد تالية المار ، ويغلب اليه الاقتراع ، ويسلمه بالتالي الى الانتحار .. وفي الفصل الرابع تعود الى ماريلنج حيث يقيم رودولف حفلا ساعرا لوداع الحياة ، اسم ينتصر مع احدي شينقانه ، ويبريه اخوانه ..

المسرحية انن لتاريخية تحليلية ، ومن هنا الشاهد الاجتماعي والسياسية التي ظلت تسند تصوير الطابع عند مختلف الشخصيات ، ومن هنا ايضاً حسنا الانساني الذي يتنقل الصراعات كافة فيها ..

ومع ذلك هل رودولف فسيحة ، ما دام انه يقتل به الخط فسي الاقتراع ؟ ان حسي الروسرية والتشرف ، وايضا لقل التشاؤم فسي رودولف كبير ، فاني الانتحار ، وكان باستقامته الهرب ، او رفض التنازل ..

الموضوع انن ميالته ، وعلمي للثقافات ، وهو مطامح الشياب ، وبنيالته .. والواجبة فيه مقهورة ، يالسة ، ليس بغل القدر ، ولكن بغل لربي الواقع ، والذي كان يمكن لتأخير التقدمي الطامح ان يعمل له ، لو ان القنية لم تمهله .. فلودولف هارلن يقول فيه (٣) :

رائ السعد السعودي
فصله ما لاح من خرق
نقص بميسم الشرق
الفصله وحليمة السيق
حفلت شكهبا (ابو
والوقت الرجمي نفسه ، وخاصة رئيس الوزارة ، يتبعه عمن مطامحه التقدمية ، فيجيب (٤) :

لم اكن اعقب من
نشط النفي يبرودو
لدموا الجسر سفينا
واصلوا مجيد القصر
واري قومي كالكما
ليست قومي يبرودو
فومي على النقص الكمال
من النهر الحبال
تسبدا وجبلا
نيمسا وجبلا
جبلا وجبلا
القطب والبد الكمال

وقد لاحظ شاعرنا الكبير عثمان مردم بك في وصف الاطلس التاريخي ، والاجتماعية ، والهاجر العديد من موملها ، بحيث ظلت متممة للعمل المسرحي ، بامنة على افكار النولس ولعنتها ، وخاصة منها موقف النمسا والمجر من الحلف مع الاكلان ، وخصوصية الاتجاكات الشخصية في ذلك (٥) :

وتري البلاط مع الصدو
يجري مع (الاكلان) في
ويتول ما يوحى اليه
النمل يطلع في النصور
الظبيان والحكم الصير
بمنطق الطفل الزبر



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بندها شهر

بنار ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسين والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الصادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد الصادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. تحد أدنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا تحد أدنى

•

الطلبات التي ترسل الى الادب : لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإعلان تراجع ادارة المجلة

•

Dir : 223819

الطبعة : ٢٢٣٨١٩

Dis : 225139

الطبعة : ٢٢٥١٣٩

نوجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الادب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر ادب

ويسرى الحسروب دعامة
والا تبيننا حركة العمل المسرحي وجدنا فيها طيفين متوازيين
متكاملين ، احدهما عن الطابع ، وفانها واتجاهها التقني ، والاخر عن
المبادئ ، وفانها واتجاهها الى الاقتراح ، ثم الانتاج .

ولا الطيفين متم للآخر ، يوحدهما الامر العام ، او الهدف في
تصور الشخصية ، بحيث تصبح المشاهد مثل الرصبة كاشفة ، فلاشي
باله الصراع الفعلي الذي يستبقي بالانتاج ، ومسبب الانتاج مرة
الظف في الاقتراح ، وانتي قبل بها الامر ، كما يصور ذلك المشهد الذي
بين الامر وغريمه (٦) ادولف

ادولف

احي في مطلق كركان
وفي السواد للصور الذي
وان وقعت على اليه
لمعد بها ، وفند كسرة
(بعد رودولف يده فتشجع على الكرة السوداء ، فيقول :)
في المسودات ما اختارت
يعمل الصوت السوانا

ادولف

فعلبك مسودة فبا
رودولف

اجل ادركت ما يلفسي
وكيف احيد عن سنن
شرايع بالدم ارسيت
(ينظر الي ادولف ويقول :)

ليهلك قد بلغت منا
له مني والطوى الاكسم

ان تصوير الشخصيات في المسرحية بالفن تصوير دقيق ، بحيث
يمكن تتبع ادق التزاوت في طابعهم .. فاني جالب شخصية الكبير
رودولف التي جعلها شاعرنا الكبير من جوانبها بكل دقة وبراعة ، هناك
مثلا وليس الزارة (ثاني) ، اوهناك (ثانيا) شخصية مبالا الامر التي
تعطي بنار عارها ، ثم اخوها لودولف الذي يمثل وجها قرويا تتقاليد
الشرف ، ثم هناك (عاري) العائقة الوالدة التي تزلز الموت لتتقل قرب
مشيها ، ثم تنتشر معه وهكذا ..

ان التصوير ظل امينا على الوقائع ، وهو جريء ، فيه صدق ،
ومكاشفة وفيه حلف وواقعية ، تدعمه حوات نشطة ، كلها الحيوية ،
والحركة المسرحية ، والاشارة على ذلك كثيرة ، ليس من المسير تقريبا .
وفي الختام لا تقتني بهذا الفن من دواية هذا الامر المسرحي
الشعري الجديد - فاجعة مايرلنغ - لعلمان مردم بك ، نجني شاعرنا
الكبير عدنان الذي شق طريقه الى الصلوف الاولى في المسرح
الشعري العربي القاصر ، ودلل على اسالة ، وابداع ، وتلق ، والى
القاء في نتاج طليل .

- (١) - راجع : - الشخصية والصراع للاسادي - لعلمان بسن
دليل ، دمشق ١٧٢ ، فهو دراسة نفسية في طابع المسرح الشعري
العربي احمد شوقي ، وفريق اياقة ، وعلمان مردم بك .
- (٢) - فاجعة مايرلنغ ، نشر مويديت ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٢ .
- (٣) - المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢ .
- (٤) - نفس المصدر ، ص ٤٠ .
- (٥) - المصدر السابق الذكر ، ص ٧٢ .
- (٦) - المصدر المذكور ، ص ٨٨ - ٨٩ .

عدنان بن ذريل

دمشق

انت لولاي رماد

ديوان للشاعرة اللبنانية هدى صليبا - ١٣٦ صفحة
مطبعة الجمهورية الجديدة ببيروت

بوجه عام ، وخاصة التي تتصل بمخاطفة الحب ، بكل ما فيها من تشابك وتعبقير يعطي للحياة طابعها المميز . وهكذا نفل الشاعرة مع حبيبها بين كز وافر ، والقبل والديك ، يقطفها خفة روحها ، وشغافيتها فيها . ويتفق هذا الصراع .. او هذا التنازع الازلي بين الرجل والاراة ، التوازن في الميادين ، كما يساعد ايضا على ابراز ذلك التوازن لون آخر اصفاقته في الغنائية يربستها بالشاعرة . هذا اللون هو التناقض بين القوانين التي تنبذ داخل الشاعرة : الكبرياء والحب .

واود ان اشير الى ما تتميز به نغمة شاعرتنا الى الانسان بوجه عام ، والرجل بوجه خاص ، من توازن احسب انه سر لونها ، فهي نغمة تجمع بين الابلال والمطفحلية ، وبين التبايد والازدوار عنه . فييوب الرجال كما تراها ليست خارجة عن ارادتهم ، بل هي نفاق عمل بشخصياتهم يجعل الحب ، ذلك التسييم الرقيق ، يلمت من بين ايديهم .

ومدى اذ تصور مملاتها ، فهي تعرض للانسانية جمعا ، فتصور العينة هو غاية ما تشده . وهي حين تصف المرأة امام الرجل ، فكلي يرى مخلصه وصورتها نظر حواء ، وكيف تنوي سعته عندما يبتلى بالفرور ، ويميمه الفيا .

وتحين ترى هدى صليبا في قصائدها التي تتحدث عن اعمال نفسها وخلفيات روحها تلمس وتلفظ لغة كائنات العماي ، ولارة جيش كالجبر وتنتجز قلما منها ، واحيانا اخرى تلوح في الاعمال صيرة للقرار ، معلومات قلها المكني بالاسرار الخفية والتناقضات من تشاؤم ونفاؤل ، وبلى ورجاء ، وتقدم للعب وكار به . جامعة جوهرها بين رومانسية القرن التاسع عشر ، ومثالية الفن الاقراي ، وواقعية الفن الرومانسي والفروني والفرافات الرومية من عصر النهضة . اميقات متباينة واساليب فنية مختلفة ، مما يفسل على قصائدها سحرا وفتنة ، ويساعد من القيمة الفنية للديوان ، فيها لها من لوحات فنية ترمس لنا في بساطة مغيرة صيرة ليلمة الاوان الازلة فينا شتي الاحاسيس من تبع جمال فياض يندلق في اعمال روحها التي تلف وراء العمل الفني .

واساتلف تناء يفسل ايزاء من قصائدها تشهد عدل على ما افول . فما حبيبي « ان ارجوها وهي تقول :
فها هي ذي هدى صليبا تبلغ ذروة الرقة والحنان في قصيدتها « بعض دني اتالي الي مينيك ،
والوصى في اعمالها ،
ويدي على راسك
انصصه حتى تكفيك ،
اشك الى صخري
حتى لا تكسر آت ..

بلى لا تكسر آنا بين يديك .
ويتيمنا نجدها في قصيدة « آنا راحل » تفشي من رحيل حبيبها وتشق على نفسها من الوحدة ، نراها على التليبي في قصيدة « اسرب من وجي » تغلب منه الرحيل لتخلق من القيود ، فلتستمتع اليها وهي تقول :

الرب من دجبي ،
لا اربك قمر يطلع الي .
احب السير في الليالي ،
فالليل ابهى منك عندما .
لم تقول :
ارحل واكعد ،
الليل ، دولك ، اعطب ،
لم ترد :
لا احب القيود
قيودك من حديد ،
ليس فيها جمال ..

لا اكنم القاري ان عنوان هذا الديوان قد اثار للوهلة الاولى دهشتي وسلاي ، فقد خط لي احتمال انني امام شاعرة تنف في كبرياء وسد شمتت بانها ، وعقدت ذراعيها على صدرها ، نائرة شورا الى الرجال متعالية عليهم اشد استعلاء .. ولكن قصائدها استحوذت علي وانا اهتم كعناها .. صلعة اتي صلعة .. واندمجت فيها بكل وجداني وفكري وعلمي .. واستاخضت هذه الفتاة ان تلقى بي في عالمها السحري الذي اشاع في نفسي فيوض الجمال وتفتحته حتى صدمتني الصلعة السادسة والثلاثين بعد المئة التي انهي اليها الديوان .. فاصف هذا ، كنت ارجو ان يزيد فلها لا يشبع منه . وقد انبجحت لي الحقيقة بعد قراءة الديوان .. هدى صليبا كما توفقت ذات تعال فلا ، بيد انه تعال تعا به الباس ، وكبرياء نلل بها الزمان ، والذا بي اقف مبهورا ، ارب في صمت شاعرتنا الوهوية وهي تترنم لتصلها العاصرة بالاخلاص والصدق .. فيا القلب الفتاة .. واشجائها وسراها !

ان هدى في قصائدها لم تهتم بالليود التي تحدد الشكل الادبي ، ونميز الشعر عن النثر ، فهي تهتم بالتعبير عن رؤاها التي صممتها نظرتها الي الحياة والى الانسان ، والشعر شيء اكثر من الوزن والقافية عندما يتحول الى شعائر ، ورفعة عاطفة ، وروعة تعبير ، نسمح ابقائنااته في نغم قلب شاعرتنا وما يجوز في اعمالها .

وعندما اتناول ديوان « انت لولاي رماد » للشاعرة هدى صليبا ، بالقد ، ان افاضل بين الشعر الفني والشعر الحر ، لمدة اسبيل منها انني لا احب السفسفوقاليد البيزنطي ، ولاني احترم الحقيقة الشعرية التي يرتسجها الفنان ويهوي اليها ، ولانه لا يوجد قانون في النقد الفني .. ولكن العمل الفني هو الذي يبتدع لنا قوانين النتماء ، والشي الزمن يصرية الفنان ، وان لكل فنان مالا خاص به ، ولا يمكن اننا ان يطالبه بغير ماله ، فاذاهم ماله امكنه التحدث مما يثير عنه ، اما لست لم يفهم هذا العمل فليس في امكانه ان يرفض شخصيته كتأله عليه ، ولا فليتنج هو هذا العمل الفني ! هذا الى ان اهم ما نلصحه نصب اعيننا في تقييمنا للعمل هو صلعة الفني ، ومهما تنوعت الاساليب واختلفت ، فالاسلوب بعد صخري حين يبر بالفتاح وصديق من عقل الانسان العاصر ومخاطته . فلحاسب ان هدى صليبا ، لا على الشكل الذي كتبت به ديوانها بل على ما تشييه في نولسا من صدق وجمال .

ان مؤلفة « انت لولاي رماد » ذات نفس شاعرة ، نفس حساسة ولدت فيه حقائق الحياة والوجود والظواهر الطبيعية لطبيعات عاطفية الازت مشايرها ، وحركت خيالاتها التي استطاع ان يهدي اليها هذه الباقة الجميلة من الازهار التي نستلهمها من الطبيعات وانما لها ولها احاسيسا ووجدانها واوهامها الساهرة .

والحب الذي يفل فلينا من ديوانها ، هو حب نبيل ، حب تصبو منه الشاعرة الى لوبوب هومها ، والتخليف من آلامها واحزانها ، حب تغلده وسادة لرأسها للثقل بالثائب ، ويسمعا لاجازها .

وقد طالعنا هدى صليبا بالقد سله ، واسلوب سلس جذاب لا تكلف فيه ولا اقارب وهي تصاح المضاير الانسانية فتستوي العسول والقلوب . وتنجلي براعة هدى في تصوير النفس البشرية بأسرها ومغوصها ، بشرها وخبرها ، بالتصاير التي تنبج في اعمالها ، والذي توه هي ذاتها بين امواجه التلاطمة ! وقد صورت القوافل التي تبلغ فيها مواظف المرأة ذروة التوتر والصراع ، وما يتمل داخلها تصورا دقيقا يتغلغل فيها بين الوحي واللاوي ، فاصف من مفرز ديوانها وخصوبته ، وربطت بين ما قد ماله من نيرة فردية صبرتها ، وبين التجربة الانسانية

وأنا أهوى الجمال

دعني

دعني أختال في الغابات ،

على التلال وفي الوهاد .

هناك شيدت منزلي ،

فيه كل الجمال :

جدران من الشعر ،

وسقف من ريشتي

وأرضه بسمات

حقاً ما أجول وأبدع تلك الصور والخيالة التي ترهف الحس وتمتسح الروح ، ولهاز أفتنتنا أمجاداً بهذا المستوى من الفن للفن الذي يعجز بين روعة الطبيعة والأحلام الوردية في واحة وأرفة يزداد طمئنتها اليهسا وسكونها إلى رحابيها ، فتلهي إلى غلالها من وشاد الحياة على طول شواطئها المني.

وما أراك غائباً لرفيقها عندما عيسى في وجهها ، فلتستمتع بكلماتها وهي تقول في قصيدتها « اللام وأنا وفستاتي » :

عيسى في وجهي ..

رفيقي

ليلة العيد

ولا أدري

الأم يرمي

من هذا العبروس

لم أراها تصلي وتبتهل لتعود الإنسانة إلى ثمر رفيقها وتلتصم بقصيدتها قلابة :

سأبقي هناك ،

في حدادي ،

واسودادي ،

أسجد ، وأصلي

حتى يغمري الثلج

ولا الأول :

« عيسى في وجهي

رفيقي »

ويتناغم إيقاع قصيدتها « علوا يا دليقة » مع إيقاع القصيدة السابقة عندما تقول في أبعاد :

علرا

لتلك الدليقة

التي أخذتها منك

دون استئذان .

علوا

أسألي بعضاً من حناك ،

بعضاً من نظراتك ،

بعضاً من زفرائك ،

وأهاتك

وشينا من أحلامك ..

هل سمحتني ؟

وفي قصيدة « أذكرك » جادتنا بمقارفة درامية تستهوننا بشاعيتها وجمالها الفني :

أذكرك

أذكر التي أشعلت ...

أشعلت لك سيجارتيك ،

والذكر أيضاً

أنتي أشعلت نفسي ،

بلدك أشعلت شيتين ،

سيجارتك .. ونفسي .

أما الفرق فشابح

بين التاريسن :

ناري هائلة :

نؤدي جيبلا ،

ونسارك محرفة

للتهم كل جميل

لم يستمر الكر والفر والصراع بين الرجل والمرأة ، فلي الوقت الذي ظلت فيه من رفيقها أن يغرب عن وجهها ، يعود الرجل فلي قصيدة « القياد وراء الرجال » ليقول لها :

الريسي من وجهي

فتورده لا أريده

أحب القلام

الذي أحياء بجوارحي

وحدة لا تنلصم .

وجئت أنت .

لتتشبهي من سماتي ،

وعظمي الذي هو نوري .

وفي نهاية القصيدة ينصحها قلابة :

يا فتاتي ، لك نصيحة .. وهي :

« أياك أن تلصقي رجلاً » .

ولم أليس بشت شلة ،

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهيرة تصدرها

رابطة الأدباء في الكويت

وتحررها الأقلام العربية الأصيلة

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٠٤٣ - المدينة

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الأقطار العربية

بـل نظرت اليه ..
ودعمت عيني ..

وكم نكره هدى ان يكون جيبها مينا على الخداع ، وان يكسبون
جيبها تتحكم فيه الايدي مغللا من العزم والحزم ، فتثور حينئذ كما في
قصيدتها « كذبت يا هذا » ، وينتفضي القام في بعدها وهي تقول :

جبي كان مينا على الخداع .

انك تمنني ان تكون

رجل عزم وحزم ،

لكن

كل هذا تمن

وانا لا احبها

على خداع السراب

صكين الرجل ،

دائما ضعيف

انه سراب ، وهم ..

قل اسطوري

للرجل

وتحذر هدى الرجل ذا النظرات الزالقة الى كل امرأة ، وتكتطف

من قصيدتها « حذار يا رجل » ما يلي :

انا كالشئ العطر

كالياسمين ، كالسوسن ،

لا للمشي ،

ابتعد عن طريقي

حتى لا تفتق من ارجلي

ارفك ليست بارضي ،

وعاك غير مالي .

انا اثر الرياحين في الاجواء ،

اهبط النوس ..

فيشري الدفء في القلوب ،

وانت تزرع الاشواك في الارض ،

تدعي العيون

وتصلب النوس

هذا انا ،

فعد من حيث انتيت ..

ولا تقبل :

« القاذف غدا »

وتقابلنا الرومانسية الحاللة في قصيدة « انت لولاي رعاد » وفيها

تقول :

احبك

وانت بعد سراب

هذا صحيح ،

اوحيثك انا

من سراي الصالح ،

وحلمي الجديد

لم تقول :

سلام ونور ،

فناء وخلود ،

وجود في الوجود .

انت لولاي رعاد .

انا منعك

من دنياي ،

من خيالي

من احلامي .

بنيت لك محرابا

من ابعاد نظراتي

اوجبت لك بيتوبا

معبدا من جناتي ،

ودنيا فسيحة الارجاء ..

ترتاح عليها من افاعي .

ويبدو انها تتسامح .. فيم كل هذا الغناء ؟ السبا نستطيع ان

نحيا بالخيال ما تنطق اليه رغباتنا ؟ ليست السعادة والشقاء معان

ذهنية اكثر منها حقائق واقعية ؟ ام ترى قد كتب على البشر الا تعظم

بهم حال حتى ولو كان من نسج الخيال ؟!

وفي مواقع اخرى من الديوان نرى روحها بعد ان تعالت وتسامت

الى الافاق ، ترند حزينة لآلة ابي الاعماق ، ومن الاعماق يرفلج التلمر ،

والكفر بالحب والحنان ، فتقول في قصيدة « دعوني » :

دعوني ،

ابتعدوا عني

اتركوني

ان حكيم

يؤلمني

حنانكم

يوحطني

نظراتكم

تجرحني

دعوني ،

لا تحبوني ،

ونتهي قصيدتها قائلا :

لان حكيم ، هذا

الذي تلمسون ،

خرفاك

لا اشرف بها ،

واربعها بعيدا ،

واختفيا في مدينتي ،

واظننها في صميمها

وعندما يؤرقها العالم المتحرف تنور على الاخلاص ، وتولد بحسب

ذاتها في قصيدة « .. فاهب ذاتي » .. انها مأساة حساسية اخلاقية

لثالية في عالم مليء بالشر ، مأساة هذه الثالية عندما تواجه الحياة

فيتحطم عليها البريء ..

هذا هو جبي

جبي الكبير

الذي لا يسمه العالم ،

العالم المتحرف

لا تلووني بعد الآن .

لا تسألوني من احب ،

فقد عرفت السبيل

لن امحي بعد الآن ،

لن اخلص .

انا لا اهود ،

انه رجل ناص ،

ناقص الانسانية .

هذا الرجل لا يبر .

الى ان تقول :

انا من غير هذا العالم

عالمى فيسر موجود
كلهم لا يعرفونه ..
طالما لا يعرفونه .
انه عالم جليل ،
طبيعى كله .
سوف احيا فيه وحدي
واهو
نعم .. ساهو ،
فهناك ارباح ..
واحبب ذاتي .

واحيانا اخرى تجعل هدى السبل تختلط طينا ، صيرة ايانا يوهي
تثير تفكيرنا ونسألاتنا عن نظرتها للانسان كما في قصيدتها « اصنام »
.. ولا انسان « التي ما ان قرانها حتى تذكرت خرافة فاوست » للشاعر
الالمانى جيت ، التي تقص كل الامم ولقنه في بحثه عن الحقيقة .
وهي صليبا بدورها تحاول ان تكشف مكنون هذا الانسان الذي وجد
على كوكب الارض منذ آلاف السنين ، فراحت تتجول وتلقب في الارض
فوجدتها ملائ بالاصنام . واسترعى انتباهها صنم ارتابت في امره ،
وخالته ذاك الذي فرات عنه . التريت منه كلمه فخرجت يدها
فقلت :

« ينقصه صقل »
ولم الصلف ..
حيا باكتشاف حقيقة
تأثر بالخالص .
شلتحت عليه
وشاحا اجه ،

ولذا بالصنم يحكم عليها بالاصنام بينما الرايه يتهاون :

« الاصنام »
قلت : لمن ،
قال : لك انت ،
اولا تلهين ؟
البلاغة في عينيك ،
والخداع في شرايتك
وانت تلتزمن الى شعور

فصعقت شاعرنا للذخ كلامه ، فقلت له مستسرة :

« ما وراء ذلك ؟ »
فقال :
« لا شيء ، الاصنام »
قلت :
ساسمحك ،
فانت لا تمرى ما تقول .
بعد آلاف السنين
ستهدي ،
منعنا ان يجديك الندم
ومدت الى عالمي ..
وفي يدي حجة
تكلب ما قيل ..
وتثيت وجود اصنام
نسمو بذلك الانسان .
خلعت ذلك الوشاح ..
ودفنته ممي في دنياي .

وهذا يزيد ديوانها ثراء ، فالكاتب الفرنسي الكبير اندريه جيد

يقول ان العمل الفني الذي يستمتع به هو الذي يحتاج الى تفكير ،
يعاود قراءته عدة مرات . وخال هدى عندما لجأت الى الرمزية هنا
ترمي الى الايجاع بدلا من الافصاح ، والتلخيص بدلا من العرضي ، وكأني
بها تقول لنا ان الانسان لو تعلم اسرار الفيب ونفذ الى كل معنى
خفي ، واحاط علما بكل شيء وكان يغير حب لما كان شيئا .

وفي قصيدتها « انا ودائتي » احسب انها تتخذ من حب دائتي
ليانيس في القرون الوسطى وسيلة لتجسيد مفهومها الخاص للحب
الذي وصل اليه الشاعر الايطالي وهو سمي وراة الكمال بالارتفاع بجمال
الاجسام الى جمال انفسها الى جمال الافكار حتى يبلغ المعرفة المطلقة
التي هي ادراك الجمال المطلق ، يلوده جمال يانيس التي ترفقت به
فاستنته من وسط القابة الظلمة ، قابة الضلال التي تعثر بها خطاه .
وشاعرنا تبدو لي مؤلفة موسيقية ايضا تستخدم الهوموفونية فسي
نسيجه الموسيقي ، أي تستعين بنغمات مصاحبة كطولية للحنها
الاساسي « واراها تحرس على ان يكون ايقاع هذه النغمات مطابقا لايقاع
الحن .. وهكذا استعارت لتجربتها هذا الحب الاسطوري محاولة ان
تلمس نسيجه الى نسيج مفهومها لتقويه وتعلمي ابعادا له ، وتجهجت
بهذه المحاولة في تكثيف مشاعرها . ومما جاء في القصيدة قولها على
لسان فتاة فلورنسا :

- دائتي ..

لا تكمل ،

انا جئت اليك

التي شعرت شعوري ،

ولقد كتبت لتي

عن فراثك

روح تلتش من روحي .

جسد في لغة الى جسد

فيجبها دائتي هاللا :

- الهنسي

والحنينة

وانت الحياة ،

بيانيس

لم تراها تلف شاملة في امتزاز ظا الياس بقصديا بعد ان سات
مسلوفا على باب فجر باسم ترنو اليه ، وتلمس ذلك عندما تقول في
قصيدتها « بين امسي وعدي » :

امسي

رحلت مني

ولا اريد ان تعود اتي .

فالحب ،

اني غير آسفة عليك .

فلقد بكيت فينسي ،

وسالت دموعي

مرارا كثيرة ،

مرة منك ، واخرى عليك .

فندي ،

كلمة جديدة علي ،

اخاف منها ، واخاف عليك .

هالذا تخبرني لتي ؟

لا اريد ابدا مما انتدت عليه ،

بل اريدك بسمه

تسوق شفتاي اليها ،

